الجملة المقيدة بالأفعال الناسخة

د/ممدوح عبد الرحمن الرمّالى

أستاذ العلوم اللغوية

ورئيس قسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

رقم الإيداع ٥١٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[التوبة ١٠٥]

إهـــــداء

إلى معلمتى الأصيلة السيدة / **جليلة حسنين منصور** التى علمتنى أبجديـــات الحـــياة والمعرفة وشمعتى التى تضئ لى السبيل بعد أن أظلمت عيناى وعونى وساعدى يوم لم ينفعنى جهدى واجتهادى وكهفى الذى أخضى فيه ضعفى عن أعين الناس وصديقتى بعد أن دفنت أصحابى فى التراب وشراعى الذى يشق لى الأجواء بعد أن ضاق الزحام بمنكبىّ ومركبى الذى يقلنى بعد أن ضاق الطريق بقدمى

فعدت كذى رجلين رجل صحيحةٌ ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكنت كذات الظـــلع لما تحاملت ... على ظلعها بعد العثار استقلت

مقدمة :

الحمـــد لله رب العالمين ، الذى أنزل الكتاب بلسان عربى مبين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين .

أما بعد

جعلنا هذه الدراسة بعنوان { الجملة المقيدة بالأفعال الناسخة } لأننا لم نجعل العلامة الإعرابية معياراً من معايير التصنيف ، خصوصاً أن معمولى هذه الأفعال يخضـــعان لعلامتيـــن إعرابيتيـــن ، أو بالأحـــرى حالتين إعرابيتين هما : الرفع والنصـــب ، كمـــا أننا لم نجعل المعنى أو مضمون الأداة معياراً آخر ؛ لأن هذه الأفعال تؤدى معانى عدة ، كالدلالة على الزمن والمقاربة والرجاء والشروع غير أنـــنا اعتمدنا على أن مجموع هذه الأدوات تسلك فى منظومة الأفعال الناسخة وأن أثرها الإعرابى ثابت فى المعمولين .

ولذلك لم نضمن هذه الدراسة الحروف الناسخة التى تحدث فى المعمولين : الأثر الإعرابى نفسه ؛ لأنها لا تسلك فى منظومة الأفعال ، بل هى حروف تستقل بقســـم من أقسام الكلام ، وإن كان الحرف يعمل العمل النحوى الذى يعمله الفعل الناســـخ ، فتناولـــت مسألة الإطلاق فى الجملة الاسمية ، وعرضت لمسألة التقييد والنســـخ ، ثم أفردت أبواباً لكل مجموعة من هذه الأفعال وفقاً للمشهور الشائع فى كتـــب النحو واللغة ، فأفردت قسماً لكان وأخواتها ، وآخر لأفعال الرجاء ، وثالث للمقاربـــة ، ورابعاً للشروع ، وفى ثنايا هذه الأقسام عرضت للخصائص التركيبية لكل جملة ، من حيث التقديم والتأخير والحذف ، وزوّدتُ كل قسم بأمثلته التطبيقية وشواهده .

والله سبحانه وتعالى الموفق وهو وحده ولى النعمة ونعم النصير

الإسكندرية فى فبراير ٢٠٠٣

أ.د/ ممدوح عبد الرحمن الرمالى

الباب الأول

النسخ والتقييد

الفصل الأول: الجملة الاسمية المطلقة [قبل النسخ]

تقييد الجملة :

الجملة الاسمية هى ظاهرة شائعة فى اللغات الهندوأوربية ، وفى اللغات السامية جميعاً ، وهى فى الفصيلة الأولى تلك الجمل التى يرتبط المسند فيها بالمسند إليه برابطة إسنادية لفظية ، وفى الفصيلة الثانية تلك الجمل التى تخلو من الفعل والرابطة الإسنادية . والجملة الاسمية : وهى التى صدرها اسم ، ويعنى بالاسم هنا ما يشمل ما ليس بفعل ولا حرف ، فيدخل فيه " اسم الفعل " .

وتعريف الجملة هو " ما أفادت معنى مقيداً ، وهذا لا خلاف فيه ، إنما الخلاف فى التفريق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، فالأولى عند النحاة هى التى يبدأ باسم والثانية البادئة بالفعل " وهو تحديد يقوم على أساس من التفريق اللفظى المحض ، فجملة " طلع البدر " جملة فعلية ، وجملة " البدر طلع " أو جملة " البدر طالع " ، أو جملة " طالع البدر " جملة اسمية .

والجملة الاسمية هى التى يدل فيها المسند على الدوام والثبوت أو التى يتصف فيها المسند إليه اتصافاً ثابتاً غير متجدد ، أو بعبارة أوضح هى التى يكون فيها المسند اسماً .

ولقد وضع الدكتور مهدى المخزومى تحديداً آخر لكل من الجملتين مستنداً إلى ما جاء فى " تلخيص مفتاح العلوم " عند ذكر أحوال المسند، أما كونه – يعنى المسند–فعلاً فللتنبيه بأحد الأزمنة الثلاثة على الوجه المختصر مع إفادة التجديد(١).

وما جاء فى دلائل الإعجاز من أن : " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضى تجدده شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً فشيئاً ، بل يكون المهنى فيه – يقصد فى الاسم – **نحو : زيد طويل ، وعمرو قصير ، فكما لا يقصد ههنا إلى أن نجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث ، بل توجيهها وتثبيتهما ، ونقضى بوجودهما على الإطلاق ، كذلك لا تتعرض فى قولك : زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد ، وأما**

---

(١) مفتاح العلوم : لأبى يعقوب السكاكى ، ص ٩٠ .

الفعـــل فإنـــه يقصد فيه إلى ذلك ، فإذا قلت : زيد هو ذا ينطلق ، فالانطلاق يقع جـــزءاً فجـــزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه ، وإن شئت أن تحس الفرق بينهما ، من حيث يلطف فتأمل هذا البيت :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

هـــذا هـــو الحسن اللائق بالمعنى ، ولو قلته بالفعل : لكن يمر عليها وهو يـــنطلق لم يحسن . فمعنى التجديد فى الفعل ، والثبوت والدوام فى الاسم هو الذى بـــنى علـــيه الدكـــتور مهدى المخزومى رأيه فى التفريق بين الجملتين ، فالجملة الفعلـــية عنده : " هى الجملة التى يدل فيها المسند على التجدد أو التى يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً متجدداً، وبعبارة أوضح هى التى يكون فيها المسند فعلاً ؛ لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها .

تصنيف الجملة الاسمية :

والنظام البسيط الذى توضع فيه الجملة الاسمية يقسم بحسب المسند إليه إلى ثلاثة أقسام :

[أ] جملة اسمية يكون المسند إليه فيها معرفة والمسند :

١- وصفاً منكراً ، نحو قول الله تعالى : ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ [1] .

٢- أو اسماً منكراً ، نحو : العلم نور .

٣- أو شبه جملة ، نحو : الحمد لله .

[ب] جملة يكون فيها كل من طرفى الإسناد نكرة ، فحينئذ :

١- يقـــدم المســـند جاراً ومجروراً أو ظرفاً ، نحو قول الله تعالى : ﴿ **فـــيها فاكهة ونخل ورمان** ﴾ [2] .

---

(1) سورة الممتحنة : ١٠ .

(2) سورة الرحمن : ٦٨ .

٢- بوصف المسند إليه بوصف يخصصه أو يقلل من عموميته ، نحو قوله تعالى : ﴿ **ولعبد مؤمن خير من مشرك** ﴾ [١] .

[ج] جملة يكون فيها كل من طرفى الإسناد معرفة ، نحو قوله تعالى : ﴿ **أنا يوسف وهذا أخى** ﴾ [٢] .

والتقديم والتأخير فيها لا يعدو أن يكون فرق أسلوب ، ومعرفة المسند إليه من المسند ، إنما يكون بمعرفة الشخص المتحدث عنه وهو المسند إليه وهذا يعرف من سياق الكلام ، وربما وقع فى هذه الحالة ضمير منفصل بين ركنى الإسناد يؤكد المسند إليه أو المحكوم عليه فى الجملة الاسمية ، نحو ﴿ **والله هو الغنى الحميد** ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ **ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾[٤].

وهناك نوعان من الجملة الاسمية :

النوع الأول : هو الجملة الاسمية المطلقة ، *والنوع الثانى* : هو الجملة الاسمية المقيدة ، والجملة الاسمية المطلقة : هى الجملة الاسمية غير المنسوخة ، وهى التى لا تحديد فيها من أى نوع ، أو بعبارة أخرى هى التى لم يدخل عليها أى ناسخ من النواسخ .

طول التعاقب :

التعاقب : هو إحلال الجملة أو شبه الجملة محل المفرد وصلاحيتها فى بعض المواقع ، أن تقوم بما يقوم به وتعاقبه حيث يقع ، والجمل التى تعاقب المفرد هى الجملة ذات المحل الإعرابى ، ولقد أتاح النظام اللغوى لعدد من الوظائف النحوية أن تُشغل إما بالمفرد ، وإما بالجملة ، ويؤدى شغل هذه الوظيفة النحوية أو تلك بالجملة إلى طول الجملة الأساس ، وهى الجملة الكبرى أو المركبة

---

(١) سورة البقرة : ٢٢١ .

(٢) سورة يوسف : ٩ .

(٣) سورة فاطر : ١٥ .

(٤) سورة التوبة : ٢٥ .

التى تكون الجملة المعاقبة للمفرد عنصراً فيها ، وذلك لأن هذه الجملة قد تستطيل هى الأخرى بالوسائل اللغوية المتاحة .

والجملة تعاقب المفرد فى بعض مواضع هى :

[أ] الخبر سواء أكان الخبر للمبتدأ أم خبراً لناسخ من النواسخ ، فخبر المبتدأ ، نحو قول الله تعالى: ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**﴾[1] ، وخبر الناسخ نحو قوله تعالى : ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ [2] .

هـــناك نمطـــان لبـــناء الجملة الاسمية ، أحدهما : يتقدم فيه المسند إليه ، والآخر : يتقدم في المسند وهو الخبر ، ولكن هذين النمطين فى الصيغة المنطوقة ينتميان إلى بنية أساسية واحدة يتقدم فيها المبتدأ ، وقد كان من منهج نحاة العربية توحـــيد الأنمــــاط ما أمكن ؛ وذلك لأن إدراك نظام اللغات يتم بطريقة أفضل عن طـــريق توحـــيد الأنماط ، بحيث يصبح الخروج عن النمط الأصلى تفنُّناً يقتضى بحث أسبابه ودواعيه .

وقد ألزم نظام العربية أن يتقدم الخبر فى مواضع محددة يختل وجه الإسناد إذا لم يتحقق فيها تقديم الخبر من هذه المواضع ما يلى :

- إذا كـــان الخـــبر محصوراً والمبتدأ محصور فيه ، نحو " ما قادر إلا الله " ، و " ما على الرسول إلا البلاغ المبين " ، ونحو " فإنما عليك البلاغ " .
- إذا كـــان الخـــبر متضمناً لمعنى الاستفهام ، والاستفهام من المعانى التى تتسلط على الجملة ، ولذلك يجب أن تتصدر مثل : " أين محمد ؟ ، "كيف عمرو؟" وما يضاف إلى استفهام نحو " صبح أى يوم السفر ؟ " .

إذا كان المبتدأ نكرة والخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، مثل " عندك مال " ، و " فـــيك شجاعة " بشرط أن يكون الظرف والجار والمجرور مختصين بمعنى

---

(1) سورة الحديد : ١٩ .

(2) سورة محمد : ١٢ .

أن يكون الظرف مضافاً لمعرفة وأن يكون المجرور بحرف الجر معرفة،وفى مثل هـــذه الحالة لو تأخر المبتدأ لاختل الإسناد بين المبتدأ والخبر اختلالاً يذهب بمعنى الجملة نفسها ؛ لأن كلاً من " مال " و "شجاعة " نكرة ، ولو تقدمت لكانت حاجتها إلـــى أن توصف أقوى من حاجتها إلى الإخبار عنها ؛ لأن المتكلم لا يتحدث عن النكرة ما لم يخصصها للمخاطب ، وبذلك يلتبس الخبر بالصفة .

الترابط بين عنصرى الإسناد :

فـــى الجملة البسيطة يكون عنصرا الإسناد هما المكونين فقط لهما : المبتدأ والخـــبر فـــى الجملة الاسمية ، والفعل والفاعل فى الجملة الفعلية ، والوصف مع مـــرفوعه فـــيما أمكـــن أن يطلـــق عليه الجملة الوصفية . فالرابطة الكبرى بين العنصرين المكونين هى الإسناد ، غير أن الإسناد قد يوجد ، ولا توجد الجملة .

وينبغى التفريق بين نوعين من الإسناد : أحدهما يكون فى جملة ، والآخر فى مركب اسمى يعد عنصراً فى جملة ، ولا بأس أن نسمى النوع الأول " الإسناد الجملى " وتحته أنواع ، والآخر " الإسناد الإفرادى " .

والإســـناد الجملـــى هو الرابطة المعنوية الكبرى بين طرفى الإسناد ، ولو تجرد الكلام من الإسناد لكان فى حكم الأصوات التى ينعق بها غير معربة .

وقـــد عبر الرضى عن الإسناد بأنه رابطة : " وذلك لأن أحد أجزاء الكلام هـــو الحكـــم أى الإســـناد الذى هو رابطة . والإسناد بطبيعة الحال " جزء " غير مـــنطوق بـــه فى الجملة ، ولكن تحكمه أمور أخرى متعددة تتلاحم معه ، بحيث تشكل جميعاً بناء متماسكاً يمكن نتبعها فيما يأتى :

أولاً : **بين المبتدأ والخبر** :

يرتـــبط المبـــتدأ بالخبر عن طريق الإسناد الخبرى ، وتتعاون مع الإسناد الخبرى ، أمور مختلفة كلها يعمل على وضوح الترابط بينهما ، منها :

[أ] الصـــيغة الاســـمية للمبتدأ ، فلا يكون المبتدأ إلا اسماً أو مركباً اسمياً "مصدر مؤول " ، ومن هنا كان ما ليس اسماً يجب تأويله ليكون كذلك .

[ب] التعييـــن فى المبتدأ – بمعنى أن يكونَ أحد المعارف " الضمير – العلم – اسم الإشارة – الاسم الموصول – المعرف بأل المضاف إلى واحد منها – أو نكرة مخصصـــة أو ما هو فى حكمها حتى تحصل الفائدة فى الإخبار ؛ لأن الإخبار حكم ولا يحكم على مجهول .

[ج] الحالـــة الإعرابـــية للمبتدأ الرفع ، وقد لا يظهر فى الصيغة المنطوقة ذلك إذا كان مبنياً ، فيكون فى محل رفع أو مجروراً بحرف جر زائد أو كان مما تقدر فـــيه العلامة الإعرابية والحالة الإعرابية للخبر ، كذلك الرفع إذا كان مما يقبل علامته وإلا قدرت أو كان فى محل رفع .

[د] لابـــد مـــن المطابقـــة بينهما فى النوع " أى فى التذكير والتأنيث " يحل عقدة الترابط ، ولا يخرج الكلام عن هذه المطابقة إلا فيما يسمح الوضع اللغوى به نحو قوله تعالى: ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [1] ، حيث اكتسب المبتدأ " كل " التأنيث من المضاف إليه "نفس" فأخبر عنه بمؤنث؛لأن معنى "كل نفس تذوق".

[هـــ] والمطابقـــة فى العدد " أى الإفراد والتثنية والجمع " ، فلا يقال " المحمدان ناجح ، ولا المحمدون ناجح ، ولا محمد ناجحان ، ولا محمد ناجحون " .

ولا يخرج الجزآن عن هذا الضرب من المطابقة إلا فى مواضع يسمح بها الوضـــع اللغـــوى مثل : ﴿ **والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ [2] ، حيث جاء الخبر " ظهـــير" مفرداً مع كون المبتدأ " الملائكة " جمعاً ؛ لأن الخبر " ظهير " على وزن [فعـــل مفرداً ، مع كون المبتدأ " الملائكة " جمعاً ؛ لأن الخبر " ظهير " على وزن] فعيل ، وهو مما تجريه اللغة أحياناً مجرى المصدر ، فيلزم الإفراد والتذكير ؛ لأن " المصـــدر لا يثـــنى ولا يجمع ، بل يعبر بلفظة الواحد عن التثنية والجمع " [3] ، نحو قول الله تعالى: ﴿ **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً** ﴾ [4] ، وقوله

---

(1) سورة آل عمران ١٨٥ .

(2) سورة التحريم : ٤ .

(3) شرح المفصل لابن يعيش : ٩٣/١ .

(4) سورة مريم : ٧٠ .

تعـــالى : ﴿ **نحن أعلم بما يقولون** ﴾ [١] ، ونحو قوله تعالى :﴿ **هم أحسن أثاثاً ورئيا** ﴾ [٢] ، حيث جاء الخبر اسم تفضيل " أعلم " و " أولى " و " أحسن " ، وقد أخـــبر به عن ضمير يدل على الجمع "نحن" و "هم" ولم يطابقه فى العدد ، بل ظل مفرداً ؛ وذلك لأن أفعل التفضيل هنا يلزم أن يكون مفرداً مذكراً لأنه مجرد من " ال" والإضافة .

يـــرى الدكتور إبراهيم أنيس : " أن الترتيب بين المسند والمسند إليه حين يكـــون كل منهما معرفة لا يعدو أن يكون أمر أسلوب ؛ إذ لا يكاد المعنى يختلف بتأخـــير أحدهمــــا أو تقديمه ، ولكن بعض النحاة يرى فرقاً فى المعنى بين " زيد أخوك – وأخوك زيد " فالأول تعريف للقرابة ، والثانى تعريف للاسم ، وفى الأول إخبار بالعام عن الخاص ، وفى الثانى إخبار بالخاص عن العام [٣] .

ويذكـــر الدكـــتور/ إبراهيم أنيس أنه حين يكون المسند جاراً ومجروراً أو ظرفاً نرى الجملة المثبتة تلتزم صورة واحدة فيها بتقديم المسند .

ثانياً : المطابقة :

لـــم يفرد النحاة للمطابقة بين المسند والمسند إليه مبحثاً خاصاً ، وإنما أشار بعضـــهم إلى لون منها وأغفل آخرون الحديث عنها ، وقد أشار سيبويه إلى جواز الــنمط : " مبـــتدأ مذكر + خبر مؤنث " ، فقال نقلاً عن الخليل : " قولك هذا شاة بمنزلة قوله تعالى : ﴿ **هذه رحمة من ربى** ﴾ " [٤] .

وذكـــر ابـــن هشام أن الإخبار بالمفرد الذى على وزن " فعيل " عن الجمع صحيح ، نحو قول الله تعالى : ﴿ **والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ " [٥] .

---

(١) سورة طه : ١٠٤ .

(٢) سورة مريم : ٧٤ .

(٣) د/ إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ٣٠٧ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٥٦٢/٣ .

(٥) ابن هشام : أوضح المسالك إلى الألفية : ١٣٧/١ .

الفصل الثانى : ظاهرة النسخ

ربما كانت النواسخ هى أوسع أبواب النحو ، من حيث اشتمالها على أفعال وحروف كثيرة ، فقلما يقرأ الإنسان سطراً عربياً واحداً دون أن يعترضه ناسخ أو أكـثر ، ومـن هـنا كانت أهمية دراسة هذه الأفعال والحروف وأصولها وكيفية استعمالها ، والنواسخ جمع ناسخ .

النسـخ لغة : والنسخ فى اللغة : الإزالة والتغيير ، ويقال : نسخت الشمسُ الظِّـلَ إذا أزالته ، قال تعالى : ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [١] ،وقال تعالى : ﴿ **فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ** ﴾ [٢]، فالنسخ حقيقة : الإزالة والإبطال ، ومجازاً : النقل والتغيير .

والنسخ اصطلاحاً : والنسخ فى اصطلاح النحاة : ما ينسخ حكم الابتداء أو ما يغير حكم المبتدأ والخبر .

أو : هـو تلـك الأدوات مـن الأفعال أو الحروف التى تدخل على الجملة الاسـمية ، فتحدث فيها تغيرات معينة فتغير وضع التركيب فى مسمى مكوناته ، كما تغير إعراب هذه المكونات .

فالمبـتدأ يكون اسماً متصدراً غالباً ، ومرفوعاً ، والخبر يتلوه وهو مرفوع كذلـك ، وعـند دخول الناسخ يتغير وضع التركيب فيتصدر الناسخ على المبتدأ وخـبره ويتغـير مسـمى ركنى التركيب الأول فى الاصطلاح النحوى ، فيسمى المبتدأ اسماً للناسخ أو مفعولاً أوّلاً .

ويسمى الخبر خبراً للناسخ أو مفعولاً ثانياً كما يتغير الإعراب ، فقد ينصب الخبر بعد دخول الناسخ وقد ينصب المبتدأ وقد ينصب الطرفان .

---

(١) سورة البقرة : ١٠٦ .

(٢) سورة الحج : ٥٢ .

وعلى ذلك فالنسخ له معنيان :

الأول: هو إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه . أو تبديل الشيء من الشيء، والشيء ينسخ نسخاً أى يزيله ، ويكون مكانه ، ولقد ورد لفظ النسخ فى التنزيل .

وفـــى الحديث : " لم تكن نبوة إلا تناسخت " أى تحولت من حال من إلى يعنى أمر الأمة وتغاير أحوالها .

والعـــرب تقـــول : نسخت الشمس الظل وانتسخته : أزالته والمعنى أذهبت الظل وحلت محله هذا معنى .

والمعـــنى الـــثانى [١] : نســـخ الشيء ينسخه نسخاً ، وانتسخه استنسخه اكتتبه ، والكاتب ناسخ ومنتسخ ، والاستنساخ كتب كتاب من كتاب ، ومنه : ﴿ **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [٢] .

والمعـــنى الأول هـــو المقصود بالنواسخ عندما يأتى ذكرها فى النحو وهى بحسب أثرها إعراباً فى الجملة ثلاثة أقسام :

الأول:كان وأخواتها ، وتسمى أيضاً الأفعال الناقصة ؛ لأنها تدل على الزمن دون الحدث – على زعم النحاة – أى أنها تكون الجملة من حيث الزمن فتعطيها الوقـــت الذى يريده المتكلم ، وهى : { كان – أمسى – أصبح – أضحى – ظل = بات – صار – ليس زال – برح – فتئ – انفك – دام } .

ومن النحويين [٣] من ألحق بها : { ونى – رام } بمعنى زال . وألحق قوم منهم ابن مالك بالفعل الناسخ " صار " : { آض – عاد – رجع – حار – استحال – تحـــول – ارتـــد – جـــاء – آل – قعد – غدا – راح } وهذه كلها ترفع اسمها وتنصب خبرها ويشترط معها فى العمل :

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة [ن س خ] .

(٢) سورة الجاثية : ٢٩ .

(٣) الســـيوطى : همع الهوامع على شرح جمع الجوامع ١١٠/١ ، ط الخانجى بالقاهرة ط١ ، ١٣٢٧ هـــ .

[١] أفعال المقاربة وهى : كاد – كرب – أوشك .

[٢] أفعـــال الشروع وهى : شرع – أنشأ – طفق – أخذ – علق – هبّ – قام – هلهل – جعل .

[٣] أفعال الرجاء وهى : عسى – حرى – اخلولق .

[٤] حروف ألحقت بليس فى المعنى والعمل ، وهذه الحروف أربعة وهى : ما ، لا الحجازيتان ، لات فى جميع اللغات ، وإنْ : فى لغة أهل العالية .

الثانى : وهو إنّ وأخواتها ، وهى تنصب اسمها وترفع خبرها ، وكل حرف منها يعطى مناسبة خاصة ليست لغيره ، وهى فى الأشهر ستة حروف : { إن ، أن – لكن – كأن – ليت – لعلّ } .

وقد عدها سيبويه خمسة أحرف باعتبار "أن" فرعاً لـــ " إن " فلم يذكرها [١] ، وقـــد عدّها ابن مالك فى ألفيته ستة ، والأزهرى فى التصريح ثمانية أحرف إذ زاد علـــيها { عسى ، ولا التبرئة } ، وعدها ابن الحاجب وكذا فى شرح الرضى على كافيته ستة أحرف [٢] .

الثالث : ما يدخل على المبتدأ أو الخبر ويصبح المبتدأ مفعولاً أول للناسخ والخبر مفعولاً ثانياً ، وهو : ظن وأخواتها ، وتنقسم قسمين :

[١] أفعـــال القلوب : وهى إما تدل على الرجحان مثل : { ظن – حال – حسب – زعم – عدّ – حجا – جعل – هبّ } ، وإمّا تدل على اليقين مثل : { علم – رأى – جدّ – درى – ألقى – تعلم بمعنى أعلم } .

[٢] أفعـــال تـــدل على التحويل والانتقال من حالة إلى أخرى ، وهى : { صيّر – جعل – ترك – رد – وهب } .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢٨٠/١ ، طبعة بولاق .

(٢) شرح الكافية للرضى الأستراباذى ، ٣٤٥/٢ ، استانبول ١٣٠٥هـــ .

وأطلق لفظ النواسخ على كل هذه الأفعال والحروف ؛ لأن هذه الكلمات – أفعالاً كانت أم حروفاً – تحدث تغييراً فى الجملة الداخلة عليها وتجلب لها أحكاماً جديدة بعد أن تنسخ " تزيل " ما كان موجوداً من الأحكام القديمة .

فالجملة الاسمية " زيد قائم " إذا دخلت عليها " إن " فصارت " إن زيداً قائم" أحدثت فيها نسخاً من وجوه :

[١] المبـــتدأ المرفوع صار اسماً لــ " إن " منصوباً وعلامة نصبه الفتحة ، وخبر المبـــتدأ " قائم " صار خبراً لــ " إن " منصوب بالفتحة ، فهذا النسخ يكون من جهة الإعراب .

[٢] فقـــد المبـــتدأ الصدارة وأصبحت للحرف " إن " ، فهذا نسخ من جهة ترتيب الجملة .

[٣] بعـــد أن كان المعنى مجرد تلبية القيام إلى زيد ، أصبحت النسبة نسبة تأكيد ، فهذا نسخ فى المعنى .

زيـــادة وتفصيل :

الجملـــة الاســـمية فى مثل " الرياحين متعة " مركبة من اسمين مرفوعين يسمى أولهما " المبتدأ " وله الصدارة فى جملته غالباً ، ويسمى الثانى " خبراً " كما هو معروف .

ولكـــن قـــد يدخل عليها ألفاظ معينة تغير اسمها ، وعلامة إعرابهما مكان المبتدأ من الصدارة فى جملته ، ومن هذه الألفاظ " كان " ... " إذ " ... " ظن " ، ولكل واحدة أخوات مثل : كان العامل أميناً ، وقول الشاعر :

وإذا كانت النفوس كباراً　　　　*تعبت فى مرادها الأجسام*

فيصـــير المبتدأ " اسم كان " مرفوعاً ، ويسمى اسمها ، وليس له الصدارة الآن ، ويصـــير خـــبر المبتدأ خبر " كان " منصوباً ويسمى خبرها ، ومثل : " إن العـــامل أميـــن " فيصير المبتدأ اسم " إن " منصوباً ويسمى اسمها ، وتزول عنه الصدارة ويصير خبره خبر " إن " مرفوعاً ويسمى خبرها .

وتقول : ظننت العامل أميناً فيصير المبتدأ والخبر مفعولين منصوبين للفعل : " ظننت " ويسمى كلاهما : " مفعولاً به " ، وليس للمبتدأ الصدارة الآن .

وتسمى الكلمات التى تدخل على المبتدأ والخبر فتغير اسمهما وعلامة إعرابهما ومكان المبتدأ : " النواسخ " أو نواسخ المبتدأ ؛ لأنها تحدث نسخاً ، أى : تغييراً ، ولا مانع من دخول النواسخ على المبتدأ النكرة ، فيصير اسمها لها ؛ إذ لا يشترط فى اسمها أن يكون معرفة فى الأصل ، ولكن يشترك فى اسمها ألا يكون ذلك الاسم شبه جملة؛لأن اسمها فى أصله مبتدأ، والمبتدأ لا يكون شبه جملة.

الحالات التى يمتنع فيها النسخ :

لا تدخل النواسخ على المبتدأ إذا كان واحداً مما يلى :

[١] المبتدأ الذى له الصدارة الدائمة فى جملته ، بحيث لا يصح أن يتقدم عليه شيء كأسماء الشرط وأسماء الاستفهام،وكم الخبرية،والمبتدأ المقرون بلام الابتداء

ويستثنى من هذا النوع الذى له الصدارة فى جملته ضمير الشأن ، فيجوز أن تدخل عليه النواسخ عليه ،وكذلك يستثنى المبتدأ إذا كان اسم استفهام أو مضافاً لاسم استفهام ، فيجوز أن تدخل عليه " ظن وأخواتها " مع استيفائهما الفاعل ، ومع تقديم اسم الاستفهام وجوباً على الناسخ ، نحو : أيهم ظننت أفضل ؟ ، وغلام أيهم ظننت أفضل ؟

ولا تدخل هنا " كان " ولا " إن " ولا أخواتها ؛ لأن الاسم فى بابى " كان وأخواتها " ، و " إن وأخواتها " لا يتقدم على العامل .

وأما الخبر فيجوز أن يتقدم فى بابى " كان وأخواتها – وظن وأخواتها " إذا كان اسم استفهام ، أو مضافاً إلى اسم استفهام ، نحو : أين كنت ؟ ، وأين ظننت محموداً ... ؟ بشرط ألا يمنع من التقدم مانع .

[٢] المبتدأ الذى يجب حذفه ، وخبره نعت مقطوع .

[٣] كلمات معينة لم تقع إلا مبتدأ فى الأساليب الواردة التى لا يجوز تغيير هيئتها ؛ لأنها جرت مجرى الأمثال ، والأمثال لا تتغير كالكلمات الملازمة

للابتداء فى نحو : لله در الخطيب ، ونحو : أقل رجل يفعل ذلك ، ونحو : ما التعجبية مثل : ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا .

وهـذا النوع يسمى : الملازم للابتداء بنفسه ، أى : بسبب مزية فى نفسه امـتاز بهـا ، وهـى أن العرب خصته بالابتداء فلم تستعمله إلا مبتدأ ، وكل هذا يسـمى : الاسـم غير المتصرف فى استعماله ؛ لأنه مقصور على ضبط واحد ، وطـريقة واحدة فى الاستعمال لا يتجاوزها . وليس من اللام أن يكون مرفوعاً ، فمـن أنواعـه مـا هـو المقصور على النصب – أو غيره – كالمنصوب على المصدرية لداع ، كنيابته عن فعل الأمر فى مثل { سقياً ، ورعياً } .

[٤] المـلازم للابـتداء بسبب غيره ، كالاسم الواقع بعد [" لولا الامتناعية] ، وإذا الفجائية " ، فإنهما لا يدخلان إلى على المبتدأ ، مثل : لولا العلوم ما تقدمت الحضارة ، مثل : خرجت فإذا الأصدقاء حاضرون .

ومما سبق يتبين أن النواسخ بحسب التغيير الذى تحدثه ثلاثة أنواع :

نوع يرفع اسمه وينصب خبره ، فلا يرفع فاعلاً ، ولا ينصب مفعولاً مثل : كـان وأخواتها ، **ونوع ينصب اسمه ويرفع خبره** ، مثل : إن وأخواتها ، **ونوع ينصب الاثنين ولا يستغنى عن الفاعل** ، مثل : ظنَّ وأخواتها ، ولكل نوع أحواله وأحكامه .

أنـــواع النواسخ :

والنواسخ ثلاثة أنواع :

- ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر وهو كان وأخواتها .
- ما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر وهو " إنَّ وأخواتها " .
- ما ينصبهما معاً وهو " ظنَّ وأخواتها " .

وللنواسـخ مجموعات معروفة بين دارسى النحو أفعالاً أو حروفاً – فهناك مجموعة أفعال " كان وأخواتها " أى ونظائرها ، ومجموعة أفعال "كاد وأخواتها " ومجموعة أفعال " ظن وأخواتها " ومجموعة الحروف المشبهة بليس ، ومجموعة حروف " إن وأخواتها " ولا النافية للجنس .

وبالإضافة إلى ما يتحقق من تغيير فى التركيب النحوى مع النواسخ السالفة من تغيير فى مسمى الركنين أو فى إعراب أحدهما أو كليهما أو فى تصدر المبتدأ غالـباً ، فإن هناك تغييراً من حيث المعنى أو الدلالة يتحقق كذلك بدخولها ، حيث تفـيد " كـان " – مثلاً – اتصاف اسمها بخبرها فى الزمن الماضى ، وهكذا بقية نظائرها وأخواتها كل منها يفيد دلالة خاصة ، وتفيد " إن " مثلاً توكيد نسبة خبرها إلـى اسـمها ، وتفيد " كان " مثلاً مقاربة الاسم للخبر ... إلى آخر هذه الدلالات الـتى سوف نشير إليها فى كل مجموعة من مجموعات نواسخ الابتداء أو نواسخ الجملة الاسمية .

وهـذه الأفعال – أى أفعال النواسخ – تعد ناقصة غير تامة فى بابى " كان وكاد " ومعنى النقص فى هذه الأفعال هو دلالتها على حدث أو معنى مجرد ناقص ، حيـث لا تـتحقق الفائدة كاملة من إسناد الفعل إلى مرفوعه ، بل تتم الفائدة بعد استكمال ذكر الاسم المنصوب ، خلافاً للأفعال التى تظهر دلالتها بعد انتظامها فى التركيب اللغوى مع مرفوعاتها دون حاجة إلى اسم آخر بعد المرفوع .

وهـناك نوعـان مـن الجمل الاسمية ، فالنوع الأول هو الجملة الاسمية المطلقـة ، والنوع الثانى هو الجملة الاسمية المقيدة " المنسوخة " والنواسخ هى : {كان وأخواتها – إنّ وأخواتها – ظنّ وأخواتها } .

ولاشـك أن دخول ناسخ من هذه النواسخ يقيّد الجملة الاسمية ، سواء أكان هذا التقييد يتعلق بزمن الجملة الاسمية أم يتعلق بإضافة معنى إليها لم يكن موجوداً مـن قـبل مـن معانى المقاربة والرجاء والشروع والتوكيد والتمنى والاستدراك والتشـبيه ... وغـير ذلك . وهذا المعنى الجديد الذى يضيفه الناسخ على الجملة يستتبعه تأثير إعرابى آخر فيغير الحالة التى كانت عليها الجملة من قبل دخوله .

والجملـة المقيدة : هى الجملة الاسمية التى دخل عليها هذا الناسخ وأضاف إليها معنى لم يكن موجوداً من قبل ، وأثر فى إعرابها تأثيراً جديداً ، ويشترط فى كـون الجملة الاسمية مقيدة بالمعنى الذى نقصده أن يكون تأثير هذا الناسخ مُنصبّا علـى كـل مـن المبتدأ والخبر معاً ، فمثلاً جملة " الله غفور رحيم " جملة اسمية

مطلقة ، ولو قلت "كان الله غفوراً رحيماً " فإنها تصبح جملة اسمية مقيدة ، وكذلك إذا قلنا " إن الله غفور رحيم " ؛ لأن كلاً من الناسخين " كان " – " إنّ " قد انصبّ علـــى المبـــتدأ والخـــبر معاً . أما إذا كان فى الخبر وحده نوع من التقييد – بهذا المعـــنى- كمـــا إذا قلنا : محمد كان صادقاً " فإن انصباب " كان " هنا ليس على المبـــتدأ والخـــبر وجملة " كان صادقاً " جملة اسمية مقيدة ليس الإسناد فيها إسناداً أصـــلياً ، ولكنه إسناد فرعى ، والجملة الكبرى كلها جملة اسمية مطلقة ، ومعنى هـــذا أن الجملة الاسمية لا تعد جملة مقيدة إلا إذا كان الناسخ منصباً بتأثيره على كل من المبتدأ والخبر، أو بعبارة أخرى : على طرفى الإسناد الأصلى فى الجملة.

وتتمثل دراسة الجمل الاسمية المقيدة فى دراسة النواسخ أو المقيدات الداخلة علـــيها وخصائصها وأثرها الشكلى والمعنى والترتيب بينهما وبين ما تدخل عليه من حيث التقديم والتأخير ...... وغير ذلك .

بدء ظهور كلمة النسخ بالمعنى الاصطلاحى :

ونلاحظ أن كلمة " النواسخ " هذه من حيث كونها دالة على " كان وأخواتها" و " إن وأخواتهـــا " و " ظـــنّ وأخواتها " لم تظهر عند النحاة المتقدمين ، فسيبويه المـــتوفى عام ١٨٠هـــ – على الأرجح – لم يذكر الكلمة فى كتابه ، فقد تعرض لبعض أحكام كان وأخواتها فى باب الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واســـم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد [١] ، يقصد الفعل الذى يتعدى إلى الفاعل والمفعـــول وهما شيء واحد أى المبتدأ والخبر ، كما تعرض لها أيضاً فى بعض أبـــواب مـــتفرقة فى أول كتابه ، كذلك ذكر باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدهـــا كعمل الفعل فيما بعده [٢] يقصد إن وأخواتها ، كما ذكر أحكاماً متفرقة لـــ "إن وأخواتهـــا " أيضاً فى آخر الجزء الأول من كتابه وفى كل ذلك لم تجيء كلمة "الناســـخ " أو " النواســـخ " فـــى كلامه كذلك فكتابى " الخصائص " وسر صناعة

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢١/١ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢٧٩/١ .

الإعـــراب لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى عام ٣٩٢ هـــ لم تذكر كلمة الناسخ أو المنسوخ أو النسخ .

كذلك فالزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـــ لم يذكر كلمة النواسخ فى مفصله ،بـــل أورد " كـــان وأخواتها " فى باب الأفعال ، كما وردت " إن وأخواتها " عند الكلام عن الحروف ، بل إنه عندما تعرض لحكم " إنْ " المخففة من " إنّ " من أن الفعـــل الذى يليها يكون فى الغالب ناسخاً قال : [١] " والفعل الواقع بعد المكسورة يجـــب أن يكون من الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر " ولو أن هذه الكلمة كانت قد عرفت لاستعملها .

وأبـــو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنبارى المتوفى عام ٥٧٧ هـــ فى كتابه : " الإنصاف فى مسائل الخلاف " لم يذكر هذه الكلمة ، بل إنه أفرد فى كتابه " أسرار العربية باباً خاصاً لـــ " كان وأخواتها " و آخر لـــ " إنّ وأخواتها " وثالثاً لـــ " ظنّ وأخواتها " ولم يعقد لها جميعاً باباً واحداً تحت عنوان النواسخ.

ابن مضاء القرطبى المتوفى عام ٥٩٢هـــ صاحب كتاب " الرد على النحاة " لـــم يذكـــر هـــذه الكلمة فى ثنايا كتابه مع أنه تعرض أثناء الحديث عن العامل لضرب بعض الأمثلة من " إنّ وأخواتها " [٢].

ابـــن يعيش المتوفى عام ٦٤٣هـــ عندما شرح المفصل فهو لم يذكر كلمة النواسخ ، قال ابن يعيش : " ولا تكون هذه الأفعال الواقعة بعدها أى بعد " إنّ " إلا من الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر .

وأول ظهورهـــا كان فى منتصف القرن السابع تقريباً ، فقد ذكرها صاحب الألفية المتوفى عام ٦٧٢هـــ ، وتبعه فى ذكرها شُرّاح ألفيته : ابن عقيل المتوفى عام ٦٧٣هـــ – ابن هشام عام ٧٦١هـــ ، الأشمونى عام ٩٢٩هـــ ، قال ابن مالك فى الألفية :

والفعل إن لم يك ناسخاً فلا   تلفيه غالباً بأن ذى موصل

([١]) ابن يعيش : شرح المفصل ٧١/٨ .

([٢]) الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى : ص ٨٧ .

فذكـــر كلمة " ناسخاً " وشرحها الشراح بالأفعال الناسخة للابتداء ، فحدود النسخ بأن لا يكون إلا فى أن المبتدأ قد فقد صدارته بعد دخول واحد من النواسخ عليه ، ولم يذكر نسخ الإعراب أو نسخ المعنى .

ومع هذا فإن ابن مالك قد عقد باباً خاصاً لكل نوع من النواسخ : باباً لكان وأخواتها ، وآخر لـــ " إنّ وأخواتها " ، وثالثاً لـــ " ظنّ وأخواتها " ، ولم يعقد لها جميعاً باباً تحت عنوان النواسخ .

إلا أنّنا نلاحظ أن هذه الأبواب جاءت متتابعة ومسبوقة بباب الابتداء ، مما نســتنتج معــه أن ابن مالك قد لاحظ أن هذه النواسخ من عوارض الابتداء أو من عوارض الجملة الاسمية .

كمـــا أن ابن هشام فى شذور الذهب لم يعقد لها باباً خاصاً ، بل أورد اسم كـــان وأخواتها ، وكذلك خبر إن وأخواتها فى باب المرفوعات والجزأين الآخرين فى باب المنصوبات ، وأدخل ظن وأخواتها فى باب { عمل الفعل } .

ويطلـــق مصطلح النواسخ على الأبواب الثلاثة التى تلى : " باب المبتدأ أو الخبر " ، وهى :

١- كان وأخواتها .

٢- إن وأخواتها .

٣- ظنّ وأخواتها .

والنسخ يطلق فى اللغة على معنيين :

أحدهمـــا { وهو غير مراد } إثبات الشيء ، **والثانى** : الإزالة ، والمقصود هنا الإزالة ، حيث تزيل النواسخ الحكم الإعرابى الثابت للمبتدأ والخبر .

وتـــأتى بحكم جديد لهما أو لأحدهما ، حيث يأتى الخبر منصوباً مع " كان " بعـــد أن كـــان مرفوعاً ، ويأتى اسم إن منصوباً بعد أن كان مرفوعاً ومفعولا ظنّ منصوبين بعد أن كانا مرفوعين فى المبتدأ والخبر ، وهى فى ذلك أظهر من " كان " وإنّ ، حيث يأتى التغيير فى جزأى الجملة معاً هذا على رأى النحاة من أن ظنّ وأخواتها داخلات على المبتدأ والخبر .

أمـــا مع " كان وإنّ " فإن التغيير للاسم فى " إنّ " وللخبر فى " كان " فقط دون اسـم " كـان " وخبر " إنّ " ، حيث لا دليل عليه سوى مجرد الاجتهاد الذى حاوله النحويون فى تبرير فكرة النسخ .

ولقـد كـان الكوفـيون أقرب إلى المنهج الوصفى ، حينما اعتبروا " كان وأخواتها " لم تعمل فى أسمائها رفعاً جديداً ، بل هى باقية على حالتها الأولى قبل دخول " النواسخ " .

ويظـل الإسـناد هـو الرابطة بين المبتدأ والخبر حتى بعد دخول النواسخ علـيهما ، وقـد تتغير المصطلحات فى التحليل النحوى ، ولكن الإسناد لا يتغير بيـنهما ، وذلك لأن البنية الأساسية فى الجملة المنسوخة هى المبتدأ والخبر ، وإن تغـيرت المصطلحات الدالة عليهما وفقاً للتغير الحادث ، أما مع الحروف الناسخة فالأمـر واضـح – وأما مع الأفعال الناسخة فإنه يحتاج إلى بيان – وذلك أن هذه الأفعال قسمان : أحدهما واضح فيه أن الإسناد بين ما كان أصلهما المبتدأ والخبر وهـو " كـان وأخواتهـا " ، وهذه الطائفة ليست أفعالاً على الحقيقة ؛ لأن الفعل الحقيقى يدل على معنى وزمان نحو :ضرب ، فإنه يدل على ما مضى من الزمان وعلى معنى الضرب ، وكان إنما تدل على زمان فقط ، فلما نقصت دلالتها كانت ناقصـة ، وقـيل : أفعـال عبارة أى هى أفعال لفظية لا حقيقية ؛ لأن الفعل فى الحقيقة ما دل على حدث ، والحدث الفعل الحقيقى ، فكأنه سمى باسم مدلوله ، فلما كانت هذه الأشياء لا تدل على حدث لم تكن أفعالاً إلا من جهة اللفظ والتصرف ، فلذلك قيل أفعال عبارة .

ويمكنـنا أن نلخـص هذا كله إذا قلنا إنها : " أدوات فعلية " أى تتصرف تصرف الفعل ، وإن لم يكن لها دلالته ، فاسم هذه الأفعال هو المبتدأ ، وخبرها هو خـبر المبتدأ فى حقيقة أمره ، وقول النحويين " خبر كان " إنما هو تقريب وتيسير على المبتدئ ؛ لأن الأفعال لا يخبر عنها .

ولذلـك لا يقـوم إسناد بين هذه الأدوات الفعلية والاسم والخبر وما ينطبق على المبتدأ والخبر ، من حيث الترابط ينطبق على اسم كان وخبرها .

وأمـــا القســـم الـــثانى من الأفعال فهو " ظنّ وأخواتها " وقد سماها سيبويه الأفعـــال الـــتى تتعدى إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخـــر ، وذلك نحو قولك : حسب عبد الله زيداً بكراً ، وظنّ عمرو خالداً أباك ، وخال عبد الله زيداً أخاك ، ومثل ذلك : رأى عبد الله زيد صاحبنا ، ووجد عبد الله زيـــداً ذا الحفاظ . وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين ههنا أنك إنما أردت أن تبين ما استقر عندك من حال المفعول الأول يقيناً كان أو شكاً .

وبعد دخول النواسخ يحدث بعض التعديل فى الصياغة بطبيعة الحال منه :

[١] أن الأســـماء التى لها الصدارة والتى تصلح أن تكون مبتدأ لا تدخل عليها هذه النواســـخ مطلقـــاً ، مثل : أسماء الاستفهام ، فإذا كانت الجملة مثلاً : من أخوك ؟ وأردنا إدخال " كان " –مثلاً – عليها لا يقال " كان من أخاك ؟ "، بـــل يجب أن تصاغ على هذا النحو " من كان أخاك ؟ حتى لا يحدث لبس بين الاستفهام والموصول .

وإذا دخلـــت النواســـخ علـــى بعض ما له الصدارة مثل : الشرط فإنه لابد مـــن ضـــمير الشـــأن أو تقديـــره لهذا السبب نفسه وهو عدم الخلط بين الشرط والموصول[١] نحو قوله تعالى : ﴿ **إنه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ [٢] .

ويظـــل اســـم الشرط متصدراً جملة الخبر ، نحو قوله تعالى : ﴿ **إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم** ﴾ [٣] .

وإذا دخلـــت هـــذه الأدوات مـــن غـــير ضمير الشأن حولت الشرط إلى الموصول . وهنا يظهر إحكام نسيج العربية ، حيث جعلت بعض الكلمات صالحاً لأن يكـــون شـــرطاً وموصـــولاً واستفهاماً معاً ، وعلى السياق والاستعمال وبناء

---

(١) سيبويه : الكتاب ٧٢/٣ .

(٢) سورة يوسف : ٩٠ .

(٣) سورة طه : ٧٤ .

الجملـــة أن تحـــدد المقصـــود ، فالشرط لا يجتمع مع التأكيد ؛ لأن الشرط مبهم والتأكيد بـــ " إنّ " إيجاب .

[٢] أن اسم " إنّ " يجب أن يتقدم على خبرها ما لم يكن ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، فإذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً جاز أن يتقدم مثل قوله تعالى : ﴿ **إنّ علينا للهدى . وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾ [١] .

وإذا كـــان اسمها متصلاً بضمير يعود(على شيء فى الخبر)على شيء فى الخـــبر الجائـــز التقدم وجب أن يتأخر الاسم مثل " إن فى البيت صاحبه " أو كان الاسم نكرة مثل : " إن فى العرين أسوداً " .

[٣] مـــع النواســـخ لا يـــتقدم الخبر على ما له الصدارة ، ومن النواسخ هو " إنّ وأخواتها " : ما يفيد النفى وهو ليس والمشبهات بها و " دام " ؛ لأنها تغير مضـــمون الجملـــة و " كل ما يغير معنى الكلام ويؤثر فى مضمونه وكان حرفاً فمرتبته الصدر ...

وإنما لزم تصدير المغير الدال على قسم من أقسام الكلام ليبنى السامع ذلك الكلام من أول الأمر على ما قصد المتكلم [٢]، والمراد بالتصدر أن تتصدر جملتها ، ولا يمـــنع أن تكون مسبوقة بجملة أخرى أو تكون مع جملتها عنصراً فى جملة أخرى – هذا هو المبدأ العام – ويختلف النحاة فى تطبيقه [٣] .

وينبغى أن يكون المفعول فى ذلك على النص اللغوى نفسه ، أما ما يشترط من غير ذلك من التقديم أو التأخير وسواه فليست شروطاً لصحة الإسناد واستقامة معـــنى الكلام ، ولكنها شروط للتأثير الإعرابى كشرط تقديم اسم " ما " الحجازية ولا النافـــية للجـــنس وخـــبرها نكرتيـــن ، فإذا قلنا : " ما محمد قائماً " ، فالجملة صـــحيحة مؤدية لمعناها المراد ، و " ما " قد أثرت الرفع فى الاسم والنصب فى

---

(١) سورة الليل : ١٢ ، ١٣ .

(٢) الرضى :شرح الكافية ٣٤٧/٢ .

(٣) شرح ابن عقيل : ١١٣/١ .

الخبر لتوافر الشروط ، أما إذا قلنا " ما قائم محمد " فالجملة أيضاً صحيحة ، ولكن لا يصح رفع الاسم ونصب الخبر هنا لفقدان شرط الالتزام بالترتيب .

والنسـخ : مـن أشـهر المصطلحات التى استمدها النحويون من إخوانهم الفقهاء ، وقصدوا به دخول عناصر لغوية على جملة المبتدأ والخبر ، ونسخها أهم حكم من أحكامها وهى إعراب المبتدأ أو الخبر أو هما معاً .

والنواسـخ إمـا فعلية { كان وأخواتها ، كاد وأخواتها ، ظن وأخواتها } أو حرفـية { مـا – إن – لا – لات المشبهات بليس – والنافية للجنس } أو حروف اعتبرها النحويون مشبهة بالأفعال { إن وأخواتها } .

ولـيس فى اللغة ناسخ اسمى ؛ لأن عصب النسخ هو تغيير أهم ملمح من ملامح جملة المبتدأ والخبر وهو بدؤها باسم ، ولا يتأتى نسخ هذا الملمح لو تصوّر الناسخ اسماً .

والحق إنه يمكن النظر إلى النواسخ من ثلاث زوايا :

زاويـة الإطار التركيبى لجملة المبتدأ أو الخبر بعد دخول الناسخ عليها ، وزاويـة الأثـر الدلالى أو المعنوى الذى تكسبه الجملة بدخول الناسخ ، ثم زاوية الحكم الإعرابى لطرفى جملة المبتدأ والخبر ، والاعتبارات الثلاثة السابقة متداخلة ، وقد دار حولها فكر النحويين العرب .

واللافت للانتباه أن النحويين الشراح ، خاصة من جاء منهم بعد " ابن مالك " بوّبُـوا للنواسخ فى مكان وسط بين جملة المبتدأ والخبر وجملة الفاعل ، وجاءت تقريراتهم التفصيلية الشارحة تؤيد أو تبرر هذا التصنيف التبويبى الثلاثى .

فالمبـتدأ كـل اسـم ابـتدأته وجردته من العوامل اللفظية للإخبار عنه ، والعوامل اللفظية هى أفعال وحروف تختص بالمبتدأ والخبر .

واشترط أن يكون مجرداً من العوامل اللفظية ؛ لأن المبتدأ شرطه أن يكون مــرفوعاً ، وإذا لم يتجرّد من العوامل تلعبت به فرفعته تارة ، ونصبته أخرى ... وإذا كان كذلك خرج عن حكم المبتدأ والخبر إلى شبه الفعل والفاعل [1] .

والإطــار الذى تكسبه جملة المبتدأ والخبر بدخول النواسخ عليها والذى به تشبه جملة الفعل والفاعل جعل النحويين العرب يلحقون جمل بعض النواسخ بجملة الفعــل والفــاعل والمفعــول مــرة كما يحدث مع { كان وكاد } ، وبجملة الفعل والمفعــول والفــاعل كما فى باب { إن ولا النافية للجنس } وبجملة الفعل والفاعل والمفعول كما فى جملة { ظن وأخواتها } .

وهــذا الإلحاق صحيح من حيث الشكل ، لكنه ليس دقيقاً فالعلاقة الداخلية بيــن كلمــات جمل النواسخ تختلف اختلافاً جوهرياً عن العلاقة بين كلمات جملة الفاعل بأنماطها السابقة .

والنســخ هنا لا يعنى فقط نسخ الحالة الإعرابية ، بل إكساب الجملة إطاراً تركيبياً جديداً تقف به ، ولقد تنبه النحاة فى مكان وسط بين تركيبى نمطى الإسناد المعروفيــن فــى اللغــة ، وتراكيب النواسخ هى من أهم الأمثلة التى تتغير فيها الحــالات الإعرابية للمفردات وتظل البنية أو العلاقة بين هذه المفردات ثابتة كما كانت قبل تغير الحالة .

وقــد عرفت العربية مثالاً شهيراً لهذا التغير فى الحالة مع ثبات النسبة فيما ســمى بالمفعول المرفوع إلا أن الأخير يجرى داخل جملة الفاعل ، وما نحن معه الآن يحدث لجملة المبتدأ بتغير إطارها التركيبى مع تلون عناصر تلونات إعرابية جديدة .

ولقد تنبه النحويون إلى هذا الملمح ، ملمح ثبات النسبة بين عنصرى جملة المبتدأ والخبر ، رغم تغير نمطها التركيبى مما يؤذن بإدراكهم للقرابة الحميمة بين نمطى الإسناد .

---

(1) ابن يعيش : شرح المفصل ٨٣/١ .

ويمكـــن مـــع ذلك بصورة عامة النظر إلى جملة النواسخ على أنها صورة تركيبـــية فعلـــية لتراكيب اسمية فنسيج التراكيب اسمى { مبتدأ + خبر } ملون مع النواســـخ بـــألوان فعلـــية شتى أظهر ما تكون عليه مع { كان وكاد وظن } فهذه النواسخ جميعاً تشترك فى تقديم تركيب : فعل + اسم مرفوع

وهذا هو تركيب جملة الفعل والفاعل ، أو جملة الفعل والمفعول المرفوع ، ثم تفترق فيما وراء ذلك .

يقول ابن هشام : الجملة عبارة عن الفعل وفاعله ، كـــ " قام زيد " والمبتدأ وخـــبره كـــــ " زيد قائم " ، وما كان بمنزلة أحدهما نحو : ضرب اللص ، أقائم الزيدان ، كان زيد قائماً ، ظننت زيد قائماً " .

فالجملـــة إما فعلية أو مُنزّلة منزلة الفعلية أو اسمية أو مُنزّلة مَنزلة الاسمية وهذا تصنيف طيب ، لكن النحويين اختلفوا حول جملة { كان وكاد } واحتاروا فى نسبها إلى أى من القبيلين .

والنواسخ الفعلية الثلاثة تتفاوت فيما بينها فى درجة الفعلية ، فهى مع "كاد" أقـــوى مـــنها مع " كان " لأن خبر الأولى يكون عادة فعلاً مضارعاً ، فتأتى كاد وأخواتها ، وتخصص مدلوله على الحدث كما أن الفعلية فى جملة " ظن " قوية ؛ لأن جـــزأى الجملة الاسمية يصيران مفعولين معها ، وقد ذهب الشيخ الأمير إلى أنهـــا فعلية خالصة لا مُنَزّلة مَنْزِلة الفعلية ، كما أن النحويين اتفقوا على أنها تبنى للمجهول كالفعل العادى [1] .

وقـــد أدرجـــت الحديث عن { ظن وأخواتها } ، حيث ذهبت إلى أن الجملة الاســـمية أصبحت عنصراً فى جملة فعلية حتى إن الرضى اعتبر " ظن " ناصبة لمفعول واحد .

والنواســـخ بحسب عملها ثلاثة أنواع ، وسميت نواسخ ؛لأنها تحدث نسخاً أى تغييراً فى المبتدأ والخبر ، والنواسخ بحسب صيغتها تنقسم إلى قسمين : أفعال وحروف .

---

(١)سيبويه :الكتاب ٤٧/١-٤٨ ، ابن هشام : مغنى اللبيب ٤٣/٢ ، الواضح للزبيدى ١٣-١٧.

فالأفعال { كان وأخواتها – وأفعال المقاربة – وأفعال الرجاء – أفعال الشروع – وظنّ وأخواتها } .

والحروف : { ما وأخواتها – ولا التى لنفى الجنس – وأن وأخواتها } .

وهذه الأفعال ناقصة لعدم اكتفائها بمرفوعها إذ لا يتم المعنى المقصود إلا بمنصوبها ، ويختلف العمل النحوى للنواسخ حسب قواعد استخدامها فى اللغة العربية ، فمنها ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، ومنها ما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر ، ومنها ما ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

النسخ بالأفعال الناقصة :

تتألف الجملة الفعلية من فعل أسند إلى مرفوع فاعلاً كان هذا المرفوع أم نائب فاعل ، مثل : { كَبُرَ زيدٌ – عُوقِبَ المذنب } وتتألف الجملة الاسمية من مبتدأ أسند إليه الخبر ، مثال : زيدٌ كبير – المذنب معاقبٌ

ولكن ما الفرق بين جملتى : كبر زيد – زيد كبير :

الأولى : مؤلفة من فعل واسم ، وأنّ الثانية مؤلفة من اسمين وهذا صحيح ولكنه ليس الفرق الجوهرى بينهما إنما الفرق الجوهرى هو أنّ الأولى تتضمن فكرة الزمن وأن الثانية لا تحمل فكرة عن الزمن مطلقاً .

فإذا قلت : " كبر زيد " فهم السامع أن زيداً اتصف بالكبر فى الزمن الماضى ، وإذا قلت له : يكبر زيدٌ " فهم أن هذا الاتّصاف سيجرى فى المستقبل ، أما إذا قلت له : " زيد كبير " فلن يعرف فى أى وقت جرى هذا الاتصاف ، سيعرف فقط مجرد اتصاف زيد بالكبر .

تتمتع الفعلية إذن بميزة لا تتمتع بها الاسمية هى ميزة التعبير عن الزمن أى تقييد الإسناد بزمن معين { الماضى أو الحاضر أو المستقبل } ، ولقد جاءتها تلك الميزة من فعلها الذى له ثلاث صيغ تحمل كل واحدة منها فكرة زمن من الأزمنة الثلاثة .

أما الاسمية فلكونها مؤلفة من أسماء فقط ، ولأن الأسماء لا تتصرف تصرف الأفعال فقد افتقرت إلى فكرة الزمن .

الجملة الاسمية إذن ناقصة ونقصها نقص جوهرى ، واللغة لا تسكت على نقـــص أبـــداً وليس شيء أبرع منها فى الاحتيال لسد ما تراه فى نفسها من نقص فبماذا احتالت العربية فى هذا الشأن ؟

لقـــد كان الأمر عندها فى غاية البساطة أتت إلى الفعل " كان " الذى معناه "وجد" ثم فرغته من معناه هذا ؛ لأنها ليست فى حاجة إلى هذا المعنى اللغوى إنها فقـــط فى حاجة إلى لفظه المقابل للتصرف والذى يعمل بتصرفه فكرة الزمن ، ثمّ ضمته إلى الجملة الاسمية وقصرت عمله على التصرف لتعطى هذه الجملة فكرة الزمن التى كانت محتاجة إليها ، أما معناها اللغوى فقد افتقده .

وهكذا أصبحت جملة " كان زيد كبيراً " تساوى تماماً جملة " كبر زيد " .

وجملة " يكون زيد كبيراً " تساوى جملة " يكبر زيد "

وجملة " سيكون زيد كبيراً " تساوى جملة " سيكبر زيدٌ " .

الفعل الناقص :

هـــو فعـــل فرعـــته اللغـــة من معناه اللغوى ، واستعملته مجرد لفظ قابل للتصرف.

لِمَ سُمّى ناقصاً ؟ لأنه فقد معناه اللغوى ، لقد أصبح لفظاً لا معنى له وليس فيه شيء إلا فكرة الزمن الناتجة عن ميكانيكيته المتحركة ، ولم يعد فى قدرته أن يؤلـــف مع مرفوعه جملة مفيدة ، لقد أصبح مجرداً أداة نحوية لا تختلف فى شيء عن بقية الأدوات إنه ملحق بالجملة الاسمية وليس طرفاً أساسياً فيها .

وظيفة الفعل الناقص : وظيفته أن يعطى الجملة الاسمية فكرة الزمن التى كانت تحتاج إليها .

ولقد وجدت اللغة الفرصة سانحة لاستغلال عملية تحويل الأفعال التامة إلى ناقصـــة إلى أبعد الاستغلال ، فعندما جاءت إلى الفعل " ارتد " مثلاً لم تفرغ تمام الـــتفريغ مـــن معناه اللغوى الذى هو الرجوع إلى الوراء ، بل حولت هذا المعنى اللغـــوى بـــبراعة فائقة إلى معنى نحوى هو معنى " الصيرورة " ، وغدت عبارة

"ارتد الأعمى بصيراً " تعنى اتّصاف الأعمى بالإبصار فى الزمن الماضى بعد أن لم تكن له هذه الصفة من قبل .

وهكذا نرى أن بعض الأفعال الناقصة لا يحمل فكرة الزمن فقط إلى الجملة الاسمية ، كما يفعل الفعل " كان " بل تحمل بالإضافة إلى ذلك معنى نحوياً تضيفه إلى الإسناد ، كمعنى الصيرورة والاستمرار وغيرها .

وعلى العكس من ذلك نرى اللغة أحياناً تأتى إلى أفعال جامدة لا تقبل التّصرف ؛ فتستعملها أفعالاً ناقصة ، وذلك مثل : { عسى – ليس – مادام } ، وهذه الأفعال لا تحمل فكرة الزمن فجملة " ليس زيدٌ قائماً " تساوى تماماً الجملة الاسمية " زيد غير قائم " فى خلو كل منهما من فكرة الزمن .

واللغة لا تريد من هذه الأفعال فكرة الزمن ، فهى تعرف أنها خالية منها بسبب صمودها ولكنها تريد منها فقط العمل النحوى ، فالفعل " ليس " يحمل معنى النفى .

ليس زيد قائماً = ما زيد قائم

و "ما دام " يحمل معنى المدة التى تعدو مقياساً لمدة فعل آخر مثل :سأشتاق إليك مادمت غائباً عنى ، حيث تصبح مدة الاشتياق محددة بمدة غيابك عنى .

وهكذا يمكن أن نقسم الأفعال الناقصة من حيث وظيفتها إلى ثلاثة أقسام :

١- ناقص لا يحمل إلى الجملة إلا فكرة الزمن ، وليس فى هذا القسم إلا الفعل "كان" .

٢- ناقص لا يحمل إلى الجملة إلا معنى نحوياً مثل " ليس " الحامل لمعنى النفى ، و " عسى " الحامل لمعنى الرجاء ، وأفعال هذا القسم كلها جامدة ، ومن هنا خسرت فكرة الزمن والجمل معها – من حيث الزمن – تظل كما كانت فى حالتها الاسمية إسناداً يخلو من القيد الزمنى .

٣- ناقص يحمل إلى الجملة فكرة الزمن مع معنى نحوى ، كالاستمرار والصيرورة والنفى والمقاربة والرجاء والشروع ،ويدخل فى هذا القسم سائر الأفعال الناقصة .

والأفعـــال الناقصـــة أفعال تدخل على المبتدأ والخبر فترفع الأول ويسمى اسمها ، وتنصب الثانى ويسمى خبرها ، وتصبح الجملة فعلية بعد أن كانت اسمية ، وذلك بسبب تصدرها بالفعل .

ويـــرى جـــلال الديـــن الســـيوطى [1] أن النقص عدم اكتفاء هذه الأفعال بمـــرفوعاتها " أسمائها " ؛ لأن فائدة الكلام لا تتم إلا بمنصوباتها " أخبارها " فهى مفتقرة إلى هذه المنصوبات ، وليس كذلك الأفعال التامة ، فهى تكتفى بمرفوعاتها ، ولا تحتاج إلى المنصوب إلا إذا اقتضاه السياق والمقام .

ويرى بعض النحويين أن النقص ليس فى طبيعة الجملة الداخلة عليها هذه الأفعال ، فالفعل : ما دل على حدث وزمن معاً ، والفعل حدث وهو أهم خصائص الفعـــل وهو دون الحدث لا يسمى فعلاً ؛ لأن الزمن على الرغم من أهمية الزمن فـــى الفعل مدلول عليه بغير الفعل كالظرف مثلاً ، ونظروا لخلو هذه الأفعال من أهم خصائص الفعل الحدث،حيث أفعالاً ناقصة؛لأنها تدل على الزمن دون الحدث.

---

(1) السيوطى : همع الهوامع على شرح جمع الجوامع ١/١١٥ .

الباب الثانـــى

كـان وأخواتهـا

توطئة :

تدخل كان أو إحدى أخواتها على المبتدأ والخبر لإفادة معنى معين لم يكن موجوداً قبل دخولها عليها وهى جميعاً – أفعال ترفع المبتدأ ويسمى اسماً لها ، وتنصب الخبر ويسمى خبراً لها مثل " كان الله غفوراً رحيماً " .

كان : فعل ماض ناسخ ناقص .

الله : اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

غفوراً : خبر كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

ومثل كان بقية الأفعال التى تندرج تحت هذا الباب وتؤثر هذا التأثير .

و" كان " فعل ناقص لا يحمل إلى الجملة سوى فكرة الزمن ، وهذا ما عبر عنه النحاة بقولهم : إنه لمجرد اتصاف المسند إليه بالمسند والجملة معه ذات زمن ماض إن كان هو بصيغة الماضى " كان زيد كريماً " ، وذات زمن يصلح للحاضر والمستقبل إن كان هو بصيغة المضارع يكون زيدٌ كريماً ، وذات زمن مستقبل إن كان هو بصيغة الأمر " كن يا زيد كريماً " .

تسمى هذه الأفعال ناقصة ؛ لأنها فى حالة نقصانها لا تكتفى بالاسم المرفوع بعدها فى إفادة المعنى وتمامه ، بل يظل المعنى فى حاجة إلى الخبر ، وتسمى كان وأخواتها أفعالاً ناقصة لافتقارها وحاجتها إلى المنصوب وهو الخبر أو لنقصانها عن بقية الأفعال بالافتقار إلى أمرين الاسم والخبر أو لأنها تدل على الزمن دون الحدث ومن خصائص الفعل أن يدل على الاثنين معاً .

وسميت هذه الأفعال بالنواسخ ؛ وذلك لأنّ هذه الأفعال تحدث نسخاً أى تغييراً فى المبتدأ والخبر فهى تغير إعراب المبتدأ والخبر فيسمى المبتدأ اسم كان ، ويسمى الحبر خبر كان .

[١] التعريف بكان وأخواتها :

تسمى كان وأخوتها أفعالاً ناقصة ؛ لافتقارها وحاجتها إلى المنصوب وهو الخبر أو لنقصانها عن بقية الأفعال بالافتقار إلى أمرين : الاسم والخبر ، أو لأنها تـدل علـى الزمن دون الحدث ومن خصائص الفعل أن يدل على الاثنين معاً ، والمراد بأخوات "كان" تلك الكلمات التى تشابهها فى العمل وتخالفها لفظاً ومعنى.

عددها : هى ثلاثة عشر فعلاً .

معانى كان وأخواتها :

١- كان : وهى لاتّصاف الاسم بالخبر فى الماضى ، نحو " كان الحفل رائعاً ، وكانت الليلة ممتعة .

٢- أمسى : لاتّصاف الاسم بالخبر مساء ، نحو : أمسى الجو منعشاً ، وأمست الرياحُ رخاءً .

٣- أصـبح : وهى لاتّصاف الاسم بالخبر فى الصباح ، نحو : أصبح الضوءُ ساطعاً ، وأصبحت الرؤية واضحة .

٤- أضحى : وهى لاتّصاف الاسم بالخبر فى وقت الضحى ، نحو : أضحت الشمس متوهجة ، وأضحى الجوّ حاراً .

٥- صار: وهى لاتّصاف الاسم بالخبر ، نحو : صار المهملُ مجتهداً ، وصار الكسولُ نشيطاً .

٦- ليس : وهى تفيد نفى معنى الخبر عن الاسم ، نحو : ليس الصدقُ مهلكاً ، وليس الكذبُ مُنَجّياً .

٧- ٨-٩-١٠- الأفعال الأربعة { زال - برح - فَتِئَ - انفَكَّ } ومعناها دوام اتّصاف الاسم بالخبر ، نحو : مازالتْ اللغةُ التفاهم بها ميسوراً بين العرب جميعاً .

١١- بـات : وهى لا تّصاف الاسم بالخبر فى وقت الليل ، نحو : بات الفلاح متعباً .

١٢- ظل : وهى لا تضاف الاسم بالخبر دوماً ، مثل : ظل الجندى ساهراً .

١٣- دام : ومعـــناها بقى واستمر وتفيد فى جملتها دوام اتّصاف اسمها بالخبر ما بقى كل منهما مرتبطاً بالآخر ، نحو " لن يُغْلب العربُ ماداموا متّحدين "

هذا هو أصل الباب يتكون من هذه الأفعال الثلاثة عشر مع معانيها .

وكـــان هى رأس هذا الباب وعنوانه ؛ لأنها أكثر أخواتها استعمالاً كما أن لهـــا أحوالاً كثيرة تخصها وهى مثل أخواتها فعل ناسخ ناقص ، وهى فعل ناسخ ؛ لأنها تدخل على الجملة الاسمية فتغير حكمها بحكم آخر ؛ إذ ترفع المبتدأ ويسمى اسـمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها ومعنى ذلك أنها هى العامل فى الاسم وفى الخبر معاً .

ملاحظة :ملحوظة ٢ :

وردت الأفعال الخمسة { كان – ظل – أضحى – أصبح – أمسى } بمعنى "صار " كثيراً ، ويبقى لها مع هذا المعنى رفع الاسم ونصب الخبر ، نحو

- قولــــه تعــالى : ﴿ **وَفُتِحَتْ السماءُ فَكَانتْ أبْوَاباً وَسُيِّرَتِ الجِبالُ فكانَتْ سَرَاباً** ﴾ [١].

- وقولــــه تعــالى : ﴿ **وإذا بُشِّـرَ أحَدُهُـم بالأنْثَى ظَلّ وجههُ مسوداً وهُوَ كَظِيم** ﴾ [٢].

الأفعال المشبهة بصار فى الدلالة والعمل :

وردت أفعال عشرة بمعنى " صار " من غير الأفعال الثلاثة عشر السابقة ، فترفع مثلها المبتدأ وتنصب الخبر ،و هى { رجع – غَدَا – راح – اسْتَحالَ – ارْتَدَ – آض – قَعَد – عَادَ – حَارَ – تَحوّلَ } وهذه شواهدها على الترتيب :

١- رَجَـــعَ : قـــول الرسول ﷺ : " فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض " .

---

(١) سورة النبأ : ١٩ – ٢٠ .

(٢) سورة النحل : ٥٨ .

٢- ٣ - غدا - راح : كقول الشاعر :

كادت النفس أن تغيظ عليه إذ غدا حشو ريطة وبرود

وقول الشاعر :

ثم راحوا كأنهم ورق جفّ فألوت بها الصّبا والدّبور

٤- استحال : نحو قول الرسول ﷺ عن عمر : "فأخذها - الدّلو - فاستحالتْ غَرْباً " .

٥- ارتدّ : نحو قول الله تعالى : ﴿ **ألقاه على وَجْهِهِ فارتدّ بصيراً** ﴾ [١].

٦- آضَ : نحو قول العرب في البعير :" آضَ البعيرُ جَعْداً "

الجعد : كثير الوبر .

٧- قَعَد : قول العرب : "أَرْهَفَ شَفْرَته ، حتى قعدت كأنّها حَرْبَةٌ .

٨- عَادَ : نحو قول الشاعر :

وكان مُضلّى مَنْ هُديتُ بِرُشْدِهِ فللهِ مُغْوٍ عادَ بالرُّشْدِ آمرا

الشـاهد : فـي قوله : " عاد بالرشد آمرا " فإن عاد بمعنى صار : " ترفع الاسم وهو ضمير مستتر وتنصب الخبر وهو " آمرا" .

٩- حَارَ : نحو قول الشاعر :

وما المرءُ إلا كالشّهابِ وضوئهِ يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطِعُ

الشـاهد فيه قوله : " يحور رماداً " فإن " يحور " بمعنى " يصير " رفعت الاسم وهو الضمير المستتر ونصبت الخبر " رماداً " .

١٠- تحوّل : نحو قول الشاعر :

وبُدّلْتُ قَدْحاً دامياً بعد صحّةٍ كأنّ مَنَايَانَا تَحوّلْن أَبْؤسَا

الشاهد فيه قوله " تحولن أبؤساً " فإن " تحول " بمعنى " صار " ترفع الاسم ، وهو " نون النسوة " وتنصب الخبر وهو "أبؤسا " .

---

(١) سورة يوسف : ٩٦ .

عمل كان وأخواتها :

ترفع كان وأخواتها المبتدأ ويسمى اسمها ،وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، نحو :

- كان الجوُّ صَحْواً .

- ونحو قول الله عز وجل : ﴿ **وكان اللهُ غفوراً رحيماً** ﴾ [١] .

الله : اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

غفوراً : خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

وهكـذا ، فإن كان رفعت المبتدأ ونصبت الخبر ، نحو قول الله عز وجل : ﴿ **وكان الله عليماً حكيماً** ﴾ [٢] ، وتـأتي كـان بمعنى صار ، قال تعالى : ﴿ **وَفُتِحَت السَّمَاءُ فَكَانتْ أَبْوَاباً . وسُيِّرتِ الجِبالُ فكَانتْ سَرَاباً** ﴾ [٣] .

كـان وأخواتهـا يرى البصريون أنها ترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخـبر ويسمى خبرها ، ومذهب الكوفيين أنها لا تعمل شيئاً في المبتدأ ، وأنه باقٍ علـى رفعـه ، ومذهب البصريين أقوى لاتصال الضمائر بها وهي لا تتصل إلا بالعامل وينصب الخبر باتفاق الفريقين . وكان قياس هذه الأفعال أن لا تعمل شيئاً ؛ لأنهـا ليسـت بأفعال صحيحة ؛ إذ دخلت للدلالة على تغير الخبر بالزمان الذي يثبت فيه ، وإنما عملت تشبيهاً لها بما يطلب من الأفعال الصحيحة اسمين ، نحو : ضرب فرفع اسمها تشبيهاً بالفاعل من حيث هو محدث عنه ونصب الخبر تشبيهاً بالمفعول وهذا مذهب سيبويه .

وذهب الفراء إلى أن الاسم ارتفع لشبهه بالفاعل ، وأن الخبر انتصب لشبهه بالحال ، نحو : كان أخوك ضاحكاً مشبه عنده بنحو : جَاءَ أَخُوكَ ضاحكاً .

---

(١) سورة النساء : ٩٦ .

(٢) سورة النساء : ١٧ .

(٣) سورة النبأ : ١٩ – ٢٠ .

وذهب الكوفيون إلى أنه انتصب على الحال ، ويرده مجيئه مضمراً ومعرفة وجامداً ، وأنه لا يستغني عنه بخلاف الحال ، وجوّز الجمهور رفع الاسمين بعد " كان " وأنكره الفراء ويرده السماع .

شروط رفع المبتدأ ونصب الخبر مع أفعال الباب :

تنقسم أفعال الباب – بهذا الاعتبار – إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما يرفع الاسم وينصب الخبر دون شرط ، وهو الأفعال الثمانية { كان – ظل – بات – أضحى – أصبح – أمسى – صار – ليس } .

القسم الثانى : ما يرفع الاسم وينصب الخبر بشرط أن يتقدم عليه نفى أو شبه نفى وهو { النهى – الدعاء } وذلك أربعة أفعال هى { زال – برح – فتئ – انفك } .

فالنفى ، نحو : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين** ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى** ﴾ [2] .

وقد يكون النفى مقدراً لا مذكوراً ، نحو قول الله تعالى : ﴿ **قالوا تالله تفتأ تذكرُ يوسف** ﴾ [3] ، فالتقدير فى الآية " لا تفتأ " .

ولا ينقاس حذف النفى إلا بشروط ثلاثة هى :

١- أن تكون صيغة الفعل الناسخ هى " المضارع " .

٢- أن يكون جواب قسم .

٣- أن يكون حرف النفى " لا " .

---

(١) سورة هود : ١١٨ .

(٢) سورة طه : ٩٠ .

(٣) سورة يوسف : ٨٥ .

وهذه الشروط موجودة فى الآية :

وشبه النفى هو " النهى والدعاء " ويكون النهى بالحرف " لا " خاصة نحو قول الشاعر :

صَاح شَمِّرْ ولا تَزَلْ ذاكرَ المو ت فَنِسْيَانُه ضلالٌ مبين

والدعـــاء يكون بالحرف " لا " فى الماضى وبالحرف " لن " فى المستقبل نحو قول ذى الرمة :

ألا يا اسْلَمِى يا دَارَ مَىَّ على البِلَى

ولا زال مُنهلاً بجرعائِكِ القطرُ

القسم الثالث : ما يرفع الاسم وينصب الخبر بشرط أن يتقدم عليه " ما المصدرية الظرفـية " وهـو " دام " ، نحـو قول الله تعالى : ﴿ **وأوصانى بالصلاة والـزكاة ما دمتُ حيّاً** ﴾ [1] فالتقدير : " مدة دوامى حياً " ، وسميت " ما " مصدرية ظرفية ؛ لأنها تقدر بظرف يضاف إلى المصدر المؤول من " ما " والفعل الناسخ.

وجاء فى التصريح : " فلو كانت " ما " مصدرية غير ظرفية لم تعمل " دام " بعدها العمل المذكور ، فإن ولى مرفوعها منصوب فهو حال ، نحو " يُعجبنى ما دمـتَ صـحيحاً " ولـو لم تذكر " ما " أصلاً ،فأجْرِ بعدم العمل ، نحو : دام زيدٌ صحيحاً .

شروط بعض أخوات كان :

يشـترط فـى { زال – انفـك – فتئ – برح } أن يتقدمها نفى ، نحو : لا يزالون مختلفين – لن نبرح عليه عاكفين .

* أو نفى ، نحو قول الشاعر :

صاحِ شمر ولا تزل ذاكر المو تِ فنسيانه ضلال مبين

* أو دعاء ، نحو : لا زلت بخير .

---

(1) سورة مريم : ٣١ .

وقـــد جـــاء حذف النهى منها بعد القسم والفعل المضارع منفى بلا ، وذلك جائز مستملح ومنه قوله تعالى:﴿ **تالله تفتأ تذكر يوسف** ﴾ (١)والتقدير " لا تفتأ".

وقول الشاعر :

فقلت يمين الله لا أبرح قاعداً   ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

والتقدير : لا أبرح قاعداً .

ولا يشـــترط فى النفى أن يكون بالحرف فهو يكون به ويكون بالفعل ، نحو : لست تبرح مجتهداً .

وقد يكون النفى بالاسم ، نحو " زهير غيرُ منفكٍ قائماً بالواجب " .

وقد تأتى " وَنَى ينى – رام يريم " بمعنى " زال " الناقصة ، فيعملان عملها ويشترك فيهما ما يشترط فيها ، ومنه قول الشاعر :

فأرحام شِعْرٍ يَتصِلْنَ ببابه   وأرحام مالٍ لا تَنى تتَقَطَّعُ

أى : لا تزال تتقطّع .

وقول الشاعر :

إذا رُمتَ مِمّنْ لا يَريمُ مُتَيّماً

سُلُوّاً فقدْ أَبعدتَ فى رُومِكَ المَرْمَى

أى : لا يزال أو لا يبرح متيماً .

ويشترك فى " دام " أن تتقدمها " ما " المصدرية الظرفية ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً** ﴾ (٢)، ومعنى كونها مصدرية أنها تجعل ما بعدها فى تأويل مصدر .

ومعـــنى كونها ظرفية أنها نائبة عن الظرف وهو المدة ؛ لأن التقدير " مدة دوامى حياً " .

---

(١) سورة يوسف : ٨٥ .

(٢) مريم ٣١ .

ملحوظة : زال الناقصة مضارعها " يزال " .

وأما " زال الشيء يزول " بمعنى ذهب .

و"زال فلان هذا عن هذا " بمعنى مازه عنه يميزه .

فهما فعلان تامان ، ومن الأول قوله تعالى : ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾[1] ، وقد يضمر اسم " كان وأخواتها " ويحذف خبرها عند وجود قرينة دالة على ذلك .

يقال : هل أصبح الركب مسافراً ؟

فتقول : أصبح ، والتقدير : أصبح هو مسافراً .

صور الجملة المنسوخة بكان وأخواتها :

[١] الناسخ كان ، بعده اسمه : اسم صريح جامد مرفوع وبعده الخبر : جامد منصوب ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **كان الناسُ أمة واحدة** ﴾ [2] .

[٢] الناسخ كان ، بعده اسمه : اسم إشارة وبعده الخبر المنصوب : مشتق ، كما فى قول القرآن : ﴿ **كان ذلك على الله يسيرا** ﴾ [3] .

[٣] الناسخ كان ، بعده اسمه : ضمير وبعده الخبر المنصوب مشتق " جمع مذكر سالم " ، كما فى قول القرآن ﴿ **وما كانوا مهتدين** ﴾ [4] .

[٤] الناسخ كان ، بعده اسمه اسم إشارة ، ثم ضمير فصل ، ثم الخبر المنصوب اسم جامد ، كما فى قول القرآن : ﴿ **إن كان هذا هو الحق** ﴾ [5] .

---

(١) سورة فاطر : ٤١ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٣ .

(٣) سورة النساء : ٣ .

(٤) سورة البقرة : ١٦ .

(٥) سورة الأنفال : ٣٢ .

[٥] الناسـخ فـي صورة المضارع ، وبعده اسمه : جامد وبعده الخبر المنصوب وصـف،كما في قول القرآن : ﴿ **ومن يكن الشيطان له قريناً فقد ساء قرينا** ﴾[١] .

[٦] الناسخ في صورة لأمر ، وبعده اسمه : ضمير متصل وبعده خبره المنصوب : وصف ، كما في قول القرآن ﴿ **كونوا قوامين بالقسط** ﴾ [٢] .

[٧ الناسخ : أصبح بعده اسمه : جامد مضاف وخبره المنصوب وصف ، كما في قول القرآن ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً** ﴾ [٣] .

[٨] الناسـخ أضـحى بعده اسمه : جامد وخبره المنصوب وصف ، كما في قولك أضحى الرجل نشيطاً .

[٩] الناسخ ظل ، بعده اسمه : جامد مضاف ، وخبره المنصوب وصف ، كما في قـول القـرآن: ﴿ **وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم** ﴾[٤].

[١٠] الناسخ : أمسى بعده اسمه : جامد وخبره المنصوب وصف ، كما في قولك : أمسى أحمد سعيداً .

[١١] الناسـخ بـات بصـورة المضـارع " يبيـت " بعده اسمه : ضمير وخبره المنصـوب وصـف " جمـع تكسير " ، كما في قول القرآن : ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ [٥] .

[١٢] الناسـخ صار وبعده الاسم : جامد والخبر المنصوب جامد ، كما في قولك : صار الماء ثلجاً .

---

[١] سورة النساء : ٣٨ .

[٢] سورة النساء : ١٣٥ .

[٣] سورة القصص : ١٠ .

[٤] سورة النحل : ٥٨ .

[٥] سورة الفرقان : ٦٤ .

[١٣] الناسـخ " لـيس " مسبوق بهمزة استفهام وبعده الاسم جامد والخبر وصف مجرور بحرف جر زائد فى محل نصب ، كما فى قول القرآن : ﴿ **أليس الله بعزيز ذو انتقام** ﴾ [١] .

[١٤] الناسخ " ليس " واسمه : مصدر مؤول مؤخر ، وخبره جامد متقدم ، كما فى قول القرآن : ﴿ **ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم** ﴾ [٢] .

[١٥] الناسـخ لازال "مضارعاً " بعده اسمه : ضمير وخبره وصف " جمع مذكر سـالم " ، كمـا فـى قول القرآن : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك** ﴾ [٣] .

[١٦] الناسـخ بـرح " مضارعاً " مسبوق بحرف النفى " لن " بعده اسمه ضمير مسـتتر وجوبـاً وبعـده الخبر "و صف " جمع مذكر سالم ، كما فى قول القرآن : ﴿ **لن نبرح عليه عاكفين** ﴾ [٤] .

[١٧] الناسـخ فتـيء " مضارعاً غير مسبوق بنفى ، بل النفى مقدر بعده اسمه : ضـمير مسـتتر وجوباً وبعده الخبر : جملة فعلية ، كما فى قول القرآن : ﴿ **قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف** ﴾ [٥] .

[١٨] الناسـخ " ما انفك " بعده الاسم : جامد والخبر المنصوب وصف ، كما فى قولك : ما انفك الجو معتدلاً .

[١٩] الناسخ "مادام " بعده الاسم : ضمير متصل بعده الخبر المنصوب : وصف، كما فى قول القرآن: ﴿ **وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً** ﴾ [٦] .

---

(١) سورة الزمر : ٣٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٣) سورة هود : ١١٨ .

(٤) سورة طه : ٩١ .

(٥) سورة يوسف : ٨٥ .

(٦) سورة مريم : ٣١ .

[٢٠] الناسـخ : بعـده الاسم : جامد ، والخبر جملة فعلية ، كما فى قول القرآن : ﴿ **أولو كان آباؤهم لا يعقلون** ﴾ [١] .

[٢١]الناسخ بعده الخبر : شبه جملة تقدمت ثم الاسم نكرة جامدة تأخرت ، كما فى قـول القرآن : ﴿ **قـد كان لكم آيةٌ فى فئتين التقتا**﴾ [٢] ، وقوله تعالى: ﴿ **لـيس علـيكم جـناح أن تدخلوا**﴾ [٣] ، وقوله تعالى: ﴿**وكان تحته كنز لهما**﴾[٤] .

[٢٢] الناسـخ بعـده الاسـم : جامد ، والخبر شبه جملة ، كما فى قول القرآن : ﴿ **وقالت النصارى** : **ليست اليهود على شيء** ﴾ [٥] .

[٢٣] الناسـخ ، بعده الاسم فى حكم المحذوف " ضمير مستتر " والخبر : وصف مـتعدد " خبران أو أكثر " ، كما فى قول القرآن : ﴿ **إن الله كـان سمـيعاً بصيراً** ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **إنه كان صديقاً نبياً** ﴾ [٧] .

[٢٤] الناسخ بعده الاسم : فى حكم المحذوف "ضمير مستتر " ، والخبر شبه جملة، كمـا فـى قـول القـرآن : ﴿ **فسجدوا إلاّ إبلـيس أبـى واسـتكبر وكـان مـن الكافرين**﴾ [٨] .

[٢٥] الخـبر مـتقدم وجوبـاً على كان " اسم استفهام " بعده الناسخ بعده : الاسم المرفوع،كما فى قول القرآن:﴿ **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾[٩].

---

(١) سورة البقرة : ١٧٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٠ .

(٣) سورة النور : ٢٩٠ .

(٤) سورة الكهف : ٨٢ .

(٥) سورة البقرة : ١١٣ .

(٦) سورة النساء : ٥٨ .

(٧) سورة مريم : ٥٦ .

(٨) سورة البقرة : ٣٤ .

(٩) سورة آل عمران : ١٣٧ .

[٢٦] الناســـخ واسمه : فى حكم المحذوف " ضمير مستتر " وبعده معمول الخبر وبعــده الخبر المنصوب : وصف ، كما فى قول القرآن : ﴿ **فـإنّ الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ [١] .

[٢٧] الناسخ وبعده اسمه جامد ومضاف ، وخبره : محصور متأخر وجوباً ، كما فى قول القرآن : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة** ﴾ [٢]، وقوله تعالى : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ [٣] .

[٢٨] الناسخ وبعده خبره المنصوب متقدم جوازاً وبعده معموله شبه الجملة وبعده اســمه المرفوع المتأخر ، كما فى قول القرآن : ﴿ **وكـان حقـاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ [٤] .

[٢٩] الناســخ مســبوق باســتفهام ، وبعده معمول الخبر شبه الجملة وبعده الخبر المنصـــوب المتقدم وبعده الاسم : مصدر مؤول متأخر فى محل رفع ، كما فى قول القرآن : ﴿ **أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ [٥] .

[٣٠] معمول الخبر متقدم وجوباً بعده الناسخ ، بعده اسمه : ضمير متصل ، بعده الخبر :جملة فعلية ،كما فى قول القرآن:﴿ **أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون** ﴾[٦].

[٣١] الناســـخ " مضـــارع كـــان المجزوم محذوف النون ، كما فى قول القرآن : ﴿ **فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم** ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **ولم أكُ بغياً** ﴾ [٨] .

---

(١) سورة النساء : ١٢٨ .

(٢) سورة التوبة ١١٤ .

(٣) سورة الأنفال : ٣٥ .

(٤) سورة الروم : ٤٧ .

(٥) سورة يونس : ٢ .

(٦) سورة سبأ : ٤٠ .

(٧) سورة التوبة : ٧٤ .

(٨) سورة مريم : ٢٠ .

[٣٢] الفعل تام بعده المرفوع ، كما في قول القرآن : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **خالدين فيها مادامت السموات والأرض** ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ [٦] .

[٣٣] لو : الشرطية بعدها اسم منصوب قالوا : إنه خبر كان المحذوفة مع اسمها ، كما في قول الرسول ﷺ : " التمس ولو خاتماً من حديد " .

[٣٤] إن : الشرطية بعدها اسم منصوب قالوا عنه كذلك : إنه خبر كان المحذوفة مع اسمها ، كما في قول الرسول ﷺ : " الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ " .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٠ .

(٢) سورة النساء : ٤٠ .

(٣) سورة البقرة : ١١٧ .

(٤) سورة الروم : ١٧ .

(٥) سرة هود : ١٠٨ .

(٦) سورة الشورى : ٥٣ .

كان وأخواتها بين التصرف والجمود :

أولاً : معنى التصرف والجمود :

والفعل المتصرف هو الذى يجيء منه غير الماضى ، فمثلاً الفعل " كان " بصورة الماضى ويأتى منه المضارع " يكون " ويأتى منه الأمر " كُنْ " واسم الفاعل " كائن " والمصدر " كون " ، والفعل غير المتصرف هو الذى يبقى على الوضع الذى عليه ولا يصاغ منه شيء آخر مثل " ليس " ، إذ ليس لها مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل ... إلخ .

والمقصود هنا معرفة الأفعال المتصرفة من هذه الأفعال " كان وأخواتها " لمعرفة أنّ ما يتصرف منها يعمل غير الماضى منه عمل الماضى تماماً ، فتقول:

يكون محمد مجتهداً — كن مجتهداً

واسم " كن " ضمير مستتر وجوباً تقديره " أنت " ، والمصدر " كون محمد مجتهداً أفضل له " .

فـ " كون " : مبتدأ ، محمد : مضاف إليه .

مجتهداً : خبر كان ، أفضل : خبر المبتدأ .

التصرف : يقصد به مجيء المشتقات من الفعل ، كالمضارع { الأمر – اسم الفاعل – اسم المفعول – ...... إلخ } ، وعليه أغلب أفعال كان وأخواتها .

أما الجمود ، فهو أن يلزم الفعل صورة واحدة .

وكان وأخواتها من حيث التصرف والجمود ثلاثة أنواع :

[أ] أفعال جامدة " غير متصرفة " .

[ب] أفعال تتصرف تصرفاً ناقصاً .

[ج] أفعال تتصرف تصرفاً كاملاً .

وهى على ثلاثة أقسام :

[أ] ما لا يتصرف على الإطلاق وهو : { ليس – دام ، فلا يأتى منهما المضارع والأمر .

[ب] مــا يتصرف تصرفاً ناقصاً وهو { زال – انفك – برح – فتئ } ، فيأتى منها الماضـــى والمضـــارع ولا يأتى منها الأمر ؛ لأن من شرط عملها النفى ، وهو لا يدخل على الأمر ولا يأتى منها المصدر، لعدم دلالتها على الحدث.

[ج] مــا يتصرف تصرفاً تاماً ، وهو { كان – أصبح – أمسى – أضحى – ظل – بات – صار } ويأتى منها الأفعال الثلاثة .

وفيما يلى أمثلة لــ " كان " المتصرفة :

المضارع: قال تعالى : ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَه صَاحِبَةٌ** ﴾ [1] .

يكون : فعل مضارع ناقص مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

لــه : اللام حرف جر مبنى على الفتح ، والهاء : ضمير متصل مبنى على الضم فى محل جر باللام،والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر " يكون " مقدم .

ولد : اسم " يكون " مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

الواو : حرف عطف ، لم : أداة نفى وجزم وقلب .

تكن : فعل مضارع ناقص مجزوم وعلامة جزمه السكون .

لــه : اللام حرف جر مبنى على الفتح ، والهاء : ضمير متصل مبنى على الضم فى محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر " تكن " مقدماً.

صاحبة : اسم " تكن " مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

الأمر: قال تعالى : ﴿ **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً** ﴾ [2] .

كونــوا : فعل أمر ناقص مبنى على حذف النون ، وواو الجماعة : ضمير متصل مبنى على السكون فى محل رفع اسم كونوا .

حجارة : خبر " كونوا " منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

المصدر : نحو : يعجبنى كونك مجتهداً " .

---

(1) سورة الأنعام : ١٠١ .

(2) الإسراء : ٥٠ .

كونك : " كون " فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف ، والكاف : ضمير متصل مبنى على الفتح فى محل جر مضاف إليه .

مجتهداً : خبر يكون منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

اسم الفاعل : نحو : الجو كائنٌ صحواً

الجو : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

كائن : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

صحواً : خبر كائن منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

أما اسم " كائن " فهو الضمير المستتر فيه تقديره " هو " .

وكان وأخواتها من حيث التصرف والجمود تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أحدهما : ما لا يتصرف وهو " ليس ، ودام " ، وهما لا يتصرفان ، بل يظلان جامدان على صورته الماضوية .

الثانى : ما لا يتصرف تصرفاً تاماً ، فلا يستعمل منه أمر ولا مصدر وهو ما كان النفى وشبهه شرطاً فيه وهو " زال وأخواتها " ، وهذا القسم يتصرف تصرفاً ناقصاً ، فلا يأتى منه إلا الماضى والمضارع واسم الفاعل فقط ، وهذه الأفعال هى : { زال – برح – فتئ – انفك } .

زال : الماضى منها : زال ، المضارع : يزال ، اسم الفاعل : زائل .

وأفعال هذا القسم هى أفعال الاستمرار الأربعة التى يشترك أن تسبق بنفى أو شبهه ، ومن شواهد بعض الصيغ المتصرفة فى القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ **ولا يزالون مختلفين** ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **لن نبرح عليه عاكفين** ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ **تالله تفتأ تذكر يوسف** ﴾ [3] .

---

(1) سورة هود : ١١٨ .

(2) سورة طه : ٩١ .

(3) سورة يوسف : ٨٥ .

ومن شواهد النحاة على استخدام صيغة اسم الفاعل من "زال" قول شاعرهم:

قضى الله يا أسماء أن لست زائلاً   أحبك حتى يغمض العين مغمض

وهـذا القسم يأتى منه المضارع والماضى واسم الفاعل فقط ، ولا يستعمل منها الأمر ولا مصدر لعدم دلالتها على الحدث عند جمهور البصريين .

ودام : عند الأقدمين وقليل من المتأخرين فإنهم أثبتوا لها مضارعاً وهو يدوم.

ومن شواهد تصرف لازال : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين** ﴾ [١] .

ومن شواهد " فتئ " قوله تعالى : ﴿ **تالله تفتأ تذكر يوسف** ﴾ [٢] .

فجاءت " تفتأ " فى صيغة المضارع ، واسمها ضمير مستتر تقديره " أنت " وخبرها الجملة الفعلية " تذكر يوسف " ، ومن شواهد تصرف " برح " قوله تعالى : ﴿ **لن نبرح عليه عاكفين** ﴾ [٣]، ومن شواهد تصرف " انفك " قوله تعالى :

ليس ينفك ذا غنى واعتزاز   كل ذى عفة مقل قنوع

فالشاهد " ينفك " واسمها " هو " ضمير مستتر و " ذا غنى " خبرها " .

وهذه الأفعال هى أفعال الاستمرار المسبوقة بنفى أو شبهة ، ومثال ذلك فى المضارع : لا يزال المطر غزيراً ، ومثل : لا يبرح الخير كثيراً .

ومثال اسم الفاعل : ليس النيل زائلاً عماد الزراعة فى بلادنا .

__الثالث__ : مـا يتصرف تصرفاً تاماً ، فيجيء منه الأفعال الثلاثة والمصدر واسم الفاعل ... ، وهى بقية الأفعال : { كان – أصبح – أضحى – أمسى – بات – ظل – صار } .

كان : كان – يكون – كن – كَوْن – كائن .

أصبح : أصبح – يصبح – أصْبح – صباح – صابح ، وهكذا .

---

(١) سورة هود : ١١٨ .

(٢) سورة يوسف : ٨٥ .

(٣) سورة طه : ٩ .

الشـــواهد: قولـــه تعالى :﴿ **ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ [1] ، وقوله تعـــالى: ﴿**قـل كونـوا حجـارة أو حديـداً** ﴾ [2] ،وقوله تعالى : ﴿ **كونـوا قوامين بالقسـط** ﴾ [3]، وقولـــه تعالى: ﴿ **يا نارُ كونى برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ **وكـن مـن الشاكرين** ﴾ [5] ، حيث جاء " كن " وهو فعل الأمر من كان ، وقوله تعالى : ﴿ **فـلا تكن من الممترين** ﴾ [6] ،وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حـتى لا تكـون فتـنة** ﴾[7] ، فهاتان صيغتان للمضارع من الفعل " كان " ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم جاءهم ما كانوا يوعدون** ﴾ [8] ، وقول الشاعر :

ببذل وحلك ساد قومه الفتى

وكَوْنُك إياه عليك يسيرُ

ومن شواهد ورودها على هيئة اسم الفاعل ، قول الشاعر :

وما كل من يبدى البشاشة كائناً

أخاك إذا لم تُلقه لك منجداً

وهكذا بقية الأفعال .

إعراب الشاهد :

وما كل من يبدى البشاشة كائناً   أخاك إذا لم تلقه لك منجداً

---

(1) سورة البقرة : ١٤٣ .

(2) سورة الإسراء : ٥٠ .

(3) سورة النساء : ١٣٥ .

(4) سورة الأنبياء : ٦٩ .

(5) سورة الزمر : ٦٦ .

(6) سورة آل عمران : ٦٠ .

(7) سورة البقرة : ١٩٣ .

(8) سورة الشعراء : ٢٠٦ .

كائناً : خبر ما الحجازية : واسمه ضمير مستتر فيه جوازاً ، وتقديره "هو". **أخاك** : خبره . **تلقه** : بمعنى تجده ، **والهاء** مفعول به أول . **منجداً** : مفعول به ثان منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد : عمل كائن " وهو اسم فاعل من الفعل كان عمل فعله " كان " ، وهو فعل متصرف ، حيث يأتي منه الماضي والمضارع ... [١] .

ومن شواهد القرآن على صيغة مضارع "بات" مثلاً قوله تعالى: ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ [٢] ، وعلى مضارع " ظلّ " قوله تعالى : ﴿ **فنظل لها عاكفين** ﴾ [٣] .

وهذه الأفعال المتصرفة : يعمل غير الماضي منها عمل الماضي جمعنى : أنّ المضارع من تلك الأفعال والأمر والمصدر يعمل عمل " كان " .

نحو : – يكون الوفاء شيمة الأحرار .

– على كائن أخاك .

والمصدر : مثل قول العرب : كونك مطيعاً مع الفقر خير من كونك عاصياً مع الغنى .

– وقوله تعالى : ﴿ **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ [٤] .

مسألة التمام والنقصان في كان :

يكون الفعل تاماً إذا اكتفى بمرفوعه ويكون ناقصاً إذا لم يكتف بالاسم المرفوع ، بل احتاج مع المرفوع إلى اسم منصوب ، وقد يقضي الاستعمال على بعض الأفعال أن ترد تامة أحياناً ، وناقصة أحياناً أخرى ، على حين تجد أفعالاً لا تأتي إلا تامة ، وأخرى لا تستعمل إلاّ ناقصة .

---

(١) السيوطي : همع الهوامع ١/١١٤ .

(٢) سورة الفرقان : ٦٤ .

(٣) سورة الشعراء : ٧١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٦٦ .

فمن النوع التام دائماً – وهو معظم أفعال العربية دخل ، أحسن – حضر – أحصى – ...... إلخ .

ومـــن الشـــواهد القرآنـــية على استعمالها قوله تعالى:﴿ **فأولـئك يدخلون الجنة**﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ **يأكلن ما قدمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصنون** ﴾[2] ، وقولـــه تعالى : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت** ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ **وأحصـوا العـدة** ﴾ [4] . وغـــير ذلـــك من الأمثلة الكثيرة التى لا يتسع المقام لإحصائها .

أما النوع الذى لا يرد إلاّ ناقصاً باستمرار – فى باب كان – فثلاثة أفعال : ليس – وزال – فتئ ، وقد سبقت شواهدها وأمثلتها .

والـــنوع الأكثر هو النوع الذى يستعمل ناقصاً أحياناً ، وتاماً أحياناً أخرى وهى الأفعال العشرة الباقية : { كان – أصبح – أضحى – ظل – أمسى – بات – صار – برح – انفك – مادام } والأمثلة السابقة على نقصانها .

والأمثلة على استعمالها تامة : فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وحيثما كنتم فولـوا وجوهكم شطره** ﴾ [5] ، وقولـــه تعالى : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ **وإذا قضى الله أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾[7] ، وقوله تعالى : ﴿**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾ [8] ، وقوله تعالى

---

(1) سورة النساء : ١٢٤ .

(2) سورة يوسف : ٤٨ .

(3) سورة البقرة : ١٣٣ .

(4) سورة الطلاق : ١ .

(5) سورة البقرة : ١٥٠ .

(6) سورة البقرة : ٢٨٠ .

(7) سورة البقرة : ١١٧ .

(8) سورة الروم : ١٧ .

: ﴿ **خالدين فيها مادامت السموات والأرض** ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ [2] .

وهذه الأفعال فى التصرف وعدمه ثلاثة أقسام :

١- ما لا يتصرف بحال وهو ليس باتفاق .

٢- وما يتصرف تصرفاً ناقصاً وهو زال وأخواتها الثلاثة { فتئ - وبرح - وانفك } فإنها لا يستعمل منها أمر ولا مصدر لعدم دلالتها على الحدث عند جمهور البصريين ودام عند الأقدمين ، وقليل من المتأخرين فإنهم أثبتوا لها مضارعاً وهو يدوم .

٣- وما يتصرف تصرفاً تاماً وهو الباقى ، وللتصاريف فى هذين القسمين ما للماضى من العمل بشرط وبغير شرط ، فالمضارع نحو قوله تعالى : ﴿ **ولم أكُ بغياً** ﴾ [3]،والأمر: ﴿ **كونوا حجارة**﴾ [4]،وقوله تعالى : ﴿ **كونوا ربانيين** ﴾ [5] .

والمصدر كفول الشاعر :

ببذلٍ وحلم سادَ فى قومه الفتى وكونك إياه عليك يسيرُ

الشاهد : عمال مصدرها عمل فعلها .

كونك : مبتدأ مضاف إلى اسمه وإياه خبر كان من جهة نقصانها ،وكونك تفعله فحذف المضاف وانفصل الضمير ويسير خبر كونك " المبتدأ " .

واسم الفاعل ، نحو قول الشاعر :

وما كلُّ من يبدى البشاشة كائناً أخاك إذا لم تلقه لك منجداً

---

(١) سورة هود :١٠٨ .

(٢) سورة الشورى : ٥٣ .

(٣) سورة مريم : ٢٠ .

(٤) سورة الإسراء : ٥٠ .

(٥) سورة آل عمران : ٧٩ .

وقولـــــه ﷺ : " إن القرآن كائن لكم أجراً ، وكائن عليكم وزراً " ، وقول الحسين بن مطير الأسدى :

قضى الله يا أسماء أن لست زائلاً أحبك حتى يغمض العين مغمض

الشاهد : إجراء اسم الفاعل مجرى فعله ، والتقدير : لست أحبك .

وأن مخففة من الثقيلة وجملة لست زائلاً خبرها .

وكان وأخواتها كلها تستعمل ناقصة وتامة ماعدا ثلاثة أفعال هى : { زال – فتـــئ – لــيس } فهى ملازمة للنقصان ، وما استعمل تاماً من أفعال الباب – فإنه يكـــون فعلاً لازماً ، والمرفوع بعده فعل له ويقدر له معنى يناسب السياق ، ومن شواهد ذلك :

– قوله تعالى: ﴿ **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين** ﴾[1] .

– وقول الرسول ﷺ : " ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن " .

– وقول عمر بن الخطاب ﷺ : " أمّا الرسول فقد بات بـــ " مِنًى " .

– ومن كلام العرب : " بات بالقومِ – نزل بهم ليلاً – ظلّ اليومُ – دام ظِلُّه .

ومعـــنى نقصــــان هذه الأفعال أنها لا تكتفى بالاسم المرفوع بعدها ، بل لا يكـــتمل معناها إلا بذكر الخبر ، وهذا إذا كانت هذه الأفعال ناقصة ، وقد تستعمل هـــذه الأفعـــال تامـــة ، أى تكتفى بمرفوعها فتصبح مثل أى فعل تام ، أى مكتف بمـــرفوعه ، وفى الأمثلة السابقة كلها استعمل الفعل تاماً ، أى ليس له خبر ؛ لأنه هنا غير ناقص ، ومعنى هذا أن هذه الأفعال قد تستخدم ناقصة فتحتاج إلى خبر ، وقـــد تستعمل تامة فلا تحتاج إلى الخبر وتكتفى بالمرفوع ، وفى هذه الحالة يعرب هذا الاسم " فعالاً " ولا يعرب على أنه " اسمها " فهى الآية الأولى :

– ﴿ **وإن كان ذو عسرة** ﴾ [2]

---

(1) سورة الكهف : ٦٠ .

(2) سورة البقرة : ٢٨٠ .

كـــان : فعل ماض تام . **ذو** : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو ؛ لأنه من الأسماء الستة . **عسرة** : مضاف إليه ، وهكذا بقية الأفعال فى الأمثلة .

ولعلـــك تلاحـــظ أن هذه الأمثلة اشتملت على عشرة أفعال هى : { كان – أصبح – أمسى – برح – ظل – دام – انفك – صار – بات – أضحى } .

وهذه الأفعال العشرة تستعمل فى العربية ناقصة وتامة ، وهناك ثلاثة أفعال لا تستخدمها اللغة العربية إلا ناقصة وهذه الأفعال هى :

– **زال** : التى مضارعها يزال ، لا التى مضارعها يزول ، مثل :زالت الشمس . تزول الشمس ، فالتى مضارعها يزول ليست تامة وليست من أخوات كان .

–والفعل الثانى هو "**فتئ**" : لا تستعمل أيضاً إلا ناقصة ولا يستعمل هذا الفعل تاماً.

– والثالـــث : هـــو " **ليس** " ولا يستعمل إلا ناقصاً ، ولم يرد فى العربية استعمال هذه الأفعال الثلاثة إلا تامة .

ويطلـــق علـــى " كان وأخواتها " عند عملها العمل المذكور أنها ناقصة ، ومعـــنى أنها ناقصة أنها لا تعمل عمل الفعل ، فترفع فاعلاً وتنصب مفعولاً ، بل ترفع اسماً هو فى الأصل مبتدأ ، وخبراً هو فى الأصل خبر المبتدأ .

ومعنى النقصان أيضاً عدم دلالة هذه الأفعال على الحدث واقتصار دلالتها علـــى الزمـــن ، وعندما تكون هذه الأفعال تامة فإنها تعمل عمل الأفعال أى أنها ترفع الفاعل وتنصب المفعول إن وجد ، **ويكون معناها الحدث والزمن معاً** .

* **مثال كان التامة** : كان الله ولم يكن شيء غيره .

أى : وجد الله ولم يوجد شيء غيره .

* **ومثال كان الناقصة** : كان الله عليماً خبيرا ً.

* **مثال أمسى وأصبح التامتين** :

قول الله تعالى : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾ [1].

أى : حين تدخلون فى المساء ، وحين تدخلون فى الصباح .

([1]) سورة الروم : ١٧ .

* **ومثال أمسى وأصبح الناقصتين :**

أمسيت قوياً وأصبحتُ ضعيفاً .

* **ومثال : مادام التامة :**

قوله تعالى : ﴿ **خالدين فيها مادامت السموات والأرض** ﴾ [1].

* **ومثال مادام الناقصة :**

سأحترمك مادمت محترماً لغيرك .

* **ومثال بات التامة :**

بات بالقوم ، أى : نزلهم بهم ليلاً .

* **ومثال بات الناقصة :** بات مسروراً

* **ومثال ظلّ التامة :** ظل النهار ، أى دام ظله .

* **ومثال ظل الناقصة :** ظلَّ قائماً .

* **ومثال أضحى التامة :** أضحينا ،أى : دخلنا الضحى .

* **ومثال أضحى الناقصة :** أضحيت سعيداً .

* **ومثال : صار التامة :** صار محمدٌ الغلامَ ، أى : ضمه إليه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فصرهن إليك ﴾ [2].

* **ومثال صار الناقصة :** صار الغلام رجلاً .

أما الأفعال الثلاثة الباقية : { فتئ – ليس – زال } فهى ناقصة دائماً .

و" زال الناقصة " هى التى ماضيها يزال ، لا التى ماضيها "يزول " ، حيث أن هذه الأخيرة تامة دائماً .

---

(1) سورة هود : ١٠٧ .

(2) سورة البقرة : ٢٦٠ .

والأفعال التى تأتى ناقصة وتأتى تامة ، نحو : كان ، وتكون بمعنى حضر أو حدث، مثل قوله تعالى : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾[١] ، وقول الشاعر :

إذا كان الشتاء فأدفئونى   فإن الشيخ يهدمه الشتاء

حيث جاءت " كان " تامة فى المثالين والفاعل فى الآية الكريمة " ذو " وفى بيت الشعر " الشتاء " وبالتالى ليس لها اسم وخبر .

أضحى : بمعنى دخل فى وقت الضحى ، نحو قول الشاعر :

ومن فعلاتى أننى حسن القرى   إذا الليلة الشهباء أضحى جليدها

حيث جاء " أضحى " فعلاً تاماً ، وفاعل جليد .

ذاكراً المجد حتى أضحى النهار .

أضحى : فعل تام / النهار : فاعل .

أمسى وأصبح : بمعنى دخل فى وقت المساء والصباح .

ظل : بمعنى طال وامتد ، مثل : لو ظل الجهل ما تقدمت الشعوب

ظل : فعل تام / والجهل : فاعل

بات : بمعنى نام أو رقد ، مثل قول الشاعر :

تطاول ليلك بالإثمد   وبات الخلى ولم ترقد

وبت وباتت له علة   كليلة ذى العائر الأرمد

حيث تكرر الفعل " بات " وجاء تاماً .

وفاعله على الترتيب : " الخلى ، تاء الفاعل ، ليلة " .

صار : بمعنى رجع ، نحو قوله تعالى : ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور**﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك** ﴾ [٣]، حيث جاء لفظ "

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٠ .

(٢) سورة الشورى : ٥٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .

صــــرهن" والله أعلـــم – بمعـــنى " اضممهن " وهو فعل أمر من صار ، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

برح : بمعنى ذهب ، مثل : برح الخفاء ، بمعنى : انفصل أو خلص .

ومثل : فككت الأسير فانفك .

أما بقية الأفعال لا تكون إلا ناقصة وهى { زال – فتئ – ليس – دام } .

استعمال كان وأخواتها تامة :

تلزم ثلاث من أخوات كان النقص وهنَّ { فتئ – زال – ليس } ، وأما كان نفسها وسائر أخواتها فقد يستعملن تاماتٍ أى مكتفيات بمرفوعاتهنّ نحو :

- ما شاء الله كان .
- اندحر العدوُّ عن أرضنا فكانت الحرية .
- ونمت الليلة الماضية نوماً عميقاً ، ثم أصبحت نشيطاً .
- أضحى الحارس .
- أمسى الصياد .
- وظلّ اليوم .
- بات الطائر .
- صرت إلى وليد .
- تدوم الأمة مادامت إرادتها .
- وحاولت فكّ الحبلين المشتبكين فما انفكا .
- لن أبرح مكانى .
- ومن شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن كـان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ [1] ، أى : وإن حصلَ ذو عسرة .

---

(1) سورة البقرة : ٢٨٠ .

- وقولـه : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾ [1] ، أى : حين تدخلون فى المساء وحين تدخلون فى الصباح .

- وقوله : ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ [2] ، أى : ترجع .

- وقوله : ﴿ **خالدين فيها مادامت السموات والأرض** ﴾ [3] ، أى : ما بقيت .

- وقوله: ﴿ **فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى** ﴾ [4] ، أى: لن أفارق الأرض .

- وقول امرئ القيس :

وبات وباتت له ليلةٌ   كليلة ذى العاثر الأرمدِ [5]

وقـد تـأتى كان وبعض أخواتها تامة فتكتفى بمرفوعها على أنه فاعل ولا تحتاج إلى خبر .

مثال : العظيم عظيم حيث كان ، أى : حيث وُجِدَ :

- بقى الحارس فى حراسته حتى أضحى ، أى : حتى دخل فى الضحى .
- لو ظل الصراع لأدى إلى حرب عالمية بمعنى : لو بقى .
- تأوى الطيور إلى عشاشها فتبيت ، أى : تدخل فى الليل .
- بقى الجندى مكانه وما برحه ، أى : ما فارقه .

زيادة كان وشروط الزيادة :

وقـد أجاز بعض النحاة من خلال استقراء التراكيب العربية زيادة " كان " واشترطوا لهذا الاستعمال شرطين ، وهما :

١- أن تزاد بلفظ الماضى .

---

(1) سورة الروم : ١٧ .

(2) سورة الشورى : ٥٣ .

(3) سورة هود : ١٠٧ .

(4) سورة يوسف : ٨٠ .

(5) ديوانه : ٥٣ .

٢- ألا تـزاد إلاّ بيـن أىّ متلازمين من الأشياء المعروف تلازمها فى النحو كـالفعل والفـاعل ، والمبـتدأ والخـبر ، والجـار والمجرور ، والصفة والموصـوف ، والصـلة والموصول ، والعطف والمعطوف عليه ، وما التعجب وفعل التعجب .

وعـندما تـزاد كان فإنما تفقد عملها النحوى كما أنها لا تحتاج إلى الاسم والخبر ،أى تعد حشواً فى الكلام .

وإن كـان تعبـير الحشـو مقبولاً نحوياً فإننى أراه هو أو تعبير الزيادة – أسـلوبياً غـير مقـبول فما كان حشواً فى الكلام ، ولم يستفد منه التركيب معنى إضافياً أو جديداً فى دلالته فهراء .

ومن الأفصح حذفه وعدم ذكره ، وهنا نتساءل : لِمَ وردت ؟

كان فى هذه التراكيب التى لم يكن لها فيها تأثير نحوى ممّا دعا النحاة إلى القول بزيادتها ؟ وهنا نقول : إنه بالرغم من عدم التأثير النحوى لهذا الصنف من الكلمات إلاَّ أن له تأثيراً أسلوبياً ودلالياً مقيداً ، فهى تؤكد المعنى الذى وردت فيه وتقويه كما أنها تضيف الدلالة الماضوية للتركيب الذى وردت فيه .

وبالـرغم مـن الأمثلة والشواهد التى أوردتها كتب النحو ، إلاّ أن الأستاذ عباس حسن فى قصرها على ورودها هكذا فى أسلوب التعجب وحده دون غيره ، حيـث عدوها قياسية منعاً للخلط وفراراً من سوء الاستعمال وحرصاً على سلامة اللغة ، وعلى ذلك قول الشاعر :

ما – كان – أسعدَ من أجابك آخذاً بهداك ، مجتنباً هوىً وعناداً

ومن شواهدها زائدة – بين الصفة والموصوف قول الشاعر :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت

لهم هناك بسعى – كان مشكور

زيادة كان بين المبتدأ والخبر ، مثل : زيد كان قائمٌ .

زيادة كان بين الفعل والفاعل ، مثل : لم يوجد كان مثلك .

زيادة كان بين الصلة والموصول ، مثل : جاء الذى كان أكرمته .

زيادة كان بين الصفة والموصوف ، مثل : مررت برجل كان قائم .

زيادة كان بين " ما " وفعل التعجب ، مثل : ما كان أحسنه من يوم .

وزيادتهـــا فـــى هـــذه الحالـــة الأخـــيرة اضطرارية بمعنى أنها شائعة فى الاستعمال العادى ، أما فى الحالات الأربع الأولى ، فلا تزاد إلا سماعاً .

كان الزائدة :

تخـــتص كان من بين سائر أخواتها بأنها تأتى زائدة ، ولابدّ أن تكون بلفظ الماضى ومواضع زيادتها كما يلى :

شروط زيادة كان : يجوز زيادة كان بشرطين :

[١]أن تكون بلفظ الماضى ، وأن تكون بين شيئين متلازمين ليسا جاراً ومجروراً.

– وأكثر ما تكون زيادتها بين ما وفعل التعجب ، نحو : ما كان أجمل الماضى .

– وقد تزاد " كان " بين المبتدأ والخبر ، نحو : الجو كان معتدلاً .

– وقد تزاد " كان " بين الفعل والفاعل ، نحو : لم يسافر كان غيرك .

– وقد تزاد " كان " بين الموصول وصلته ، نحو : عاد الذى كان ساعدته .

مثال زيادة كان بين الصفة والموصوف : قول الشاعر :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت لهم هناك بسعيٍ كان مشكور

الإعراب : فى حرف جار

فغـــرف : مجـــرور بفى . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هم فى غرف .

الجنة : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة .

العليا : صفة لغرف مجرور وعلامة جرها الكسرة المقدرة .

التى : اسم موصول فى محل جر صفة لغرف .

وجبت : فعل ماضٍ والتاء للتأنيث .

والفاعل ضمير مستتر تقديره " هى " يعود على " غرف " والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول " التى " .

لهم : جار ومجرور متعلقان بالفعل " وجب " .

كان : زائدة .

مشكور : صفة لسعى مجرورة .

الشاهد فى البيت زيادة " كان " بين الصفة " مشكور " والموصوف "سعى" .

ومثال كان الزائدة بين المعطوف والمعطوف عليه ، مثل قول الشاعر :

فى لجة غَمَرَتْ أباك بحورُها　　　فى الجاهلية كان والإسلام

فى لجة : جار ومجرور .

غمرت : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

أباك : مفعول به منصوب بالألف ، والكاف فى محل جر مضاف إليه .

بحور : فاعل مرفوع . ها : ضمير فى محل جر مضاف إليه .

والجملة من الفعل والفاعل فى محل جر صفة لـــ " لجة " .

فى : حرف جر . الجاهلية : مجرورة .

والجار والمجرور متعلقان بالفعل " غمر " وكان فعل ماض زائد .

والإسلام : الواو عاطفة ، والإسلام : معطوف على الجاهلية بمجرور .

الشاهد : زيادة " كان " بين المعطوف والمعطوف عليه .

فى لُجّةٍ غَمَرت أباك بحورها　　　فى الجاهلية – كان – والإسلام

وشذ قول أم عقيل بن أبى طالب :

أنت تكون ماجدٌ نبيلُ　　　إذا تهُبُّ شمأل بليل

الشاهد : شذوذ مجيء كان زائدة بلفظ المضارع ، وشذ قول الشاعر :

سراةُ بنى أبى بكر تساموا　　على – كان – المسومة العِرابِ

الشـــاهد : مجـــيء كان زائدة بين الجار والمجرور وهذا شاذ ، و" كان " الزائدة تفيد التوكيد ، وتدل على الزمان الماضى ، ولكنها لا تعمل شيئاً ولا يتّصل بها ضمير ، بل تكون بلفظ المفرد المذكر دائماً .

أمثلة : ما كان أروع ظهور الإسلام وما كان أسرع انتشاره .

الشاهد : زائدة بين " ما " وفعل التعجب .

ويوم ظهر الإسلام ارتفع – كان – صوت العدل .

" كان " زائدة بين الفعل والفاعل .

بعد أن عاش الناس فى ظلام – كان – دامس .

زائدة بين الموصوف والصفة .

جاء فى قطر الندى : " ولا نعنى بزيادتها أنها لم تدل على معنى البتّة ، بل إنها لم يؤت بها للإسناد .

ومن هذا الكلام المركّز نفهم زيادة " كان " بالصفتين التاليتين :

الأولـــى : أن المقصـــود بزيادتها أن تقع حشواً بين أمرين متلازمين ، فلا تحتاج إلى مرفوع ولا إلى منصوب ، فهى فعل ماضٍ مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

الثانية : أنه ليس معنى الزيادة أنها لا معنى لها فى الكلام ، وإلا كان ذكرها عبثاً فــيه ، بــل إنها تفيد الكلام الدلالة على معنى المضى أى الدلالة على أن معــنى الجملة التى وردت فيها قد حدث فى الماضى ، تقول متذكراً ظهور النتيجة" ما كان أسعد الناجحين بنجاحهم، وما كان أروع إشراق وجوههم" .

فمــن البيِّــن أن وجود " كان " فى الجملتين صرف معناهما إلى المضى ، ولـــولا ذلك لكان الكلام مطلقاً لا تحديد له من حيث الزمن ، أما الصيغة التى ترد عليها حين الزيادة فهى الماضى دون بقية الصيغ الأخرى التى جاءت من الماضى كالمضارع والأمر إلى أخره .

وقـــد وردا زيادتهـــا بلفظ المضارع فى الرجز التالى الذى ينسب إلى " أم عقيل " بن أبى طالب تداعب به ابنها :

أنتَ – تكونُ – ماجدٌ نبيلُ

إذا تهبُّ شَمْألٌ بَليلُ

تُعطِي رجالَ الحيِّ أو تُنيلُ

وهذا قد تفرد عن استعمال اللغة ، فهو – كما يرى النحاة – شاذ .

الشاهد فى قولها : " أنت تكون ماجد نبيل " .

فـــإنّ الفعـــل " تكـــون " زائـــدة بين المبتدأ والخبر ، وجاءت زيادة بلفظ المضارع مع أن المعروف عن زيادة " كان " أنها تأتى بلفظ الماضى .

مـــواضع كان الزائدة :

[١] إذا وقعت بين المبتدأ وخبره ، نحو : الطالبُ كان مجتهدٌ .

الطالبُ : مبتدأ مرفوع وعلامته الضمة .

كان : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح ، وهو زائد لا عمل له .

مجتهد: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

[٢] إذا وقعت بين الفعل وفاعله ، نحو : لم يأتِ كان مثلك

يأت : فعل مضارع مجزوم بـــ " لم " وعلامة جزمه حذف حرف العلة .

كان : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح وهو زائد .

مثلك : " مثل " فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبنى على الفتح فى محل جر مضاف إليه .

[٣] إذا وقعت بين الاسم الموصول وجملة الصلة ، نحو : نجح الذّى كَانَ اجتهد :

نجح : فعل ماض مبنى على الفتح .

الذى : اسم موصول مبنى على السكون فى محل رفع فاعل .

اجـــتهد : فعل ماض مبنى على الفتح والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره "هو" والجملة من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب صلة الموصول .

[٤] إذا وقعت بين الموصوف والصفة ، نحو : نجح طالبٌ كان مجتهد .

طالب : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

كان : فعل ماضٍ ناقص مبنى على الفتح ، وهو زائد لا عمل له .

مجتهد : صفة مرفوعة وعلامة رفعها الضمة .

[٥] إذا وقعت بين " ما " وفعل التعجب ، نحو : ما كان أحسن عِلْمَهُ

ما : اسم تعجب مبنى على السكون فى محل رفع مبتدأ .

كان : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح وهو زائد لا عمل له .

أحســن : فعل ماض مبنى على الفتح والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره "هو" والجملة من الفعل والفاعل فى محل رفع خبر " ما " .

الشواهد :

[١] أنت تكون ماجد نبيل   إذا تهب شمأل بليل

الشـــاهد : " تكـــون " زائـــدة ، وقد وردت بلفظ المضارع وهى واقعة بين المبتدأ " أنت " والخبر " ماجد " .

والشمأل : ريح تهب من ناحية القطب /   والبليل : الندية الرطبة .

[٢] قول الشاعر :

سراة بنى أبى بكر تَسَامى   على " كان " المسومة العراب

الشاهد : كان زائدة بين حرف الجر " على " والاسم المجرور " المسومة " هى الخيل التى تركت فى المرعى ولها علامة مميزة ، وقال الشاعر :

ولبست سربال الشباب أزورها   ولنعم " كان " شبيبه المحتال

و " كان " زائدة بين " نعم " وفاعلها " شبيبة " .

وقال الشاعر :

فى لُجّةٍ غمرت أباك بحورها   فى الجاهلية – كان – والإسلام

و " كان " زائدة بين المعطوف عليه " الجاهلية " والمعطوف " الإسلام " .

وقال الشاعر :

فى غُرَفِ الجنّة العُلْيَا التى وجبت　　　لهم هناك بسعى " كان " مشكورِ

الشاهد : " كان " زائدة بين الموصوف " سعى " والصفة " مشكور " .

وقول بعض العرب : "وقد زادها بين الفعل ونائب الفاعل " ، ولدت فاطمة بنت الخرشب الكملة من بنى عبس لم يُوجد " كان " مثلهم .

وكان الزائدة معناها التأكيد ، وهى تدل على الزمان الماضى وليس المراد مـن تسـميتها بالزائدة أنها لا تدل على معنى ولا زمان ، بل المراد أنها لا تعمل شيئاً ولا تكون حاملة للضمير ، بل تكون بلفظ المفرد المذكر فى جميع أحوالها .

ويرى سيبويه أنها قد يلحقها الضمير مستنداً لقول الفرزدق :

فكيف إذا مررت بدار قوم　　　وجيران لنا كانوا كرامِ

" كـان الـزائدة " وقعت فى كثير من الأساليب المأثورة بلفظ الماضى مع توسطها بين شيئين متلازمين كالمبتدأ والخبر فى مثل :

القطارُ كان قادمُ

أو : الفعل والفاعل فى مثل : لم يتكلم كان عالمٌ .

أو : الموصول والصلة فى مثل : أقبل الذى كان عرفته .

أو : الصفة والموصوف فى مثل : قصدت لزيارة صديقٍ كان مريضٍ .

أو: المعطوف والمعطوف عليه فى مثل : الصديق مخلص فى الشدة كان والرخاء.

أو : حرف الجر ومجروره فى مثل :القلم على كان المكتب .

أو : بين " ما " التعجبية وفعل التعجب فى مثل : ما كان أطيب كلامك ، وما كان أكرم فعلك ، وقول الشاعر :

ما كان أسعد مَنْ أجابك آخذاً　　　بهداك مجتنباً هوىً وعناداً

وقـد وردت زيادتهـا بلفـظ المضـارع – قليلاً – مع توسطه بين شيئين متلازمين فى مثل : " أنت تكون رجل نابه الشأن " .

غـــير أن هذه القلة لم تدخل فى اعتبار النحاة ، فقد اشترطوا للحكم بزيادة "كـــان" لشـــرطين : أن تكـــون بصيغة الماضى ، وأن تكون متوسطة بين شيئين متلازمين على الوجه السالف .

معنى الزيادة : أمّا معنى زيادتها فأمران :

[١] أنها غير عاملة ، فلا تحتاج إلى معمول من فاعل أو مفعول أو اسم وخبر أو غـــيرهما ؛ إذ لـــيس لها عمل ، وليست معمولة لغيرها وهذا شأن كل فعل زائد – ولا يتأثر صوغ الأسلوب بحذفها .

[٢] أن الكلام يستغنى عنها ، فلا ينقص معناه بحذفها ولا يخفى المراد منه ، وكل فائدتهـــا أنها تمنع المعنى الموجود قوة ، وتوكيداً فليس من شأنها أن تُحدث معـــنى جديـــداً ولا أن تزيد فى المعنى الموجود شيئاً إلا التقوية والتأكيد ، فحيـــن نقـــول " الوالد عطوف " يكون المراد من هذه الجملة نسبة العطف والحنان إلى الوالد وإلصاقهما بذاته ، وإذا قلنا : والله الوالدُ عطوف ، أو : إن الوالـــد عطـــوف ... لم يزد المعنى شيئاً ولم ينقص ، ولكنه استفاد قوة وتمكـــناً ، ســـبب القسم ، أو " إنَّ " وأشباههما ومثل هذا يحصل من زيادة "كان " ، حين نقول " الوالد كان عطوف " وفرق كبير بين كلمة تُنشى معنى جديـــداً أو تـــزيد فى المعنى القائم وكلمة أخرى – كهذه – لا تنشيء معنى جديداً .

ولا تـــزيد فى المعنى الموجود ، ولكنها تقتصر على تأكيده وتقويته ، لهذا تجـــردت كلمـــة " كان " عند زيادتها من الحدث الذى يكون فى الفعل ، فلا تحتاج إلى فاعل،ولا إلى اسم وخبر ولا لشيء آخر مطلقاً – كما سلف – لأن الذى يحتاج لذلـــك إنمـــا هو الفعل الذى له حدث ومنه: "كان التامة أو الناقصة" ، أما "الزائدة" فمخالفة لهما فى ذلك ، فهى فى زيادتها المحضة مقصورة على التقوية والتأكيد .

ومـــن الأمريـــن الســـالفين يتبين أن بقاءها أو حذفها لا يؤثر فى صياغة التركيب ولا فى معناه الأصلى ، غير أن الراجح أنها تدل على الزمن الماضى إذا كانت بصيغته ، ولا سلما إذا توسطت بين " ما التعجبية " وفعل التعجب فى مثل :

مـــا كـــان أحسن صنيعك ، وما كان أرق حديثك ، فإنها فى هذه الصور تدل على الزمن الماضى ؛ إذ المراد أن الحسن والرقة كانا فيما مضى ولا تدل على غيره ، ولا تحتاج لفاعل ولا لشيء آخر ، كما لا يحتاج إليها عامل ليؤثر فيها .

هــــل تلك الزيادة قياسية أم سماعية ؟

الأنســـب الأخذ بالرأى القائل بقياسيتها فى التعجب وحده ، دون غيره من بـــاقى الحالات ، منعاً للخلط وفراراً من سوء الاستعمال ، وهذان عيبان يتوقاهما الحـــريص علــــى سلامة لغته الخبير بأسرارها ، وقد وردت زيادة بعض أخواتها كأصبح وأمسى فى قولهم :

الدنيا ما أصبح أبردها ، وما أمسى أدفأها .

يريدون ما أبردها وما أدفأها .

والأمر فى هذا وأشباهه مقصورة على السماع لا محالة .

حــذف كــان :

الحـــذف فـــى الأساليب العربية أمر جائز مقبول ، إن قام على المحذوف قرينة أو دليل يغنى عن ذكره ، والإيجاز يكون أحياناً أفضل من الإطناب ، وعليه كان الحذف أحياناً أفصح من الذكر .

فقد قال النحاة بحذف كان وحدها وبقاء عملها ومعموليها ، وذلك إذا وردت فـــى تركيب كلمة منصوبة لا تصلح إلاّ أن تكون خبراً لكان المقدرة ، وقالوا فى وصـــف هذه الحالة : إن الحذف واجب بعد " أنْ " المصدرية فى كل موضع أريد فـــيه تعليل شيء بشيء ، كما فى قولهم : أما أنت كريماً فساعد المحتاج ، ولعلك تدرك الأصل الذى افترضه النحاة لتوضيح السياق والناسخ المقدر وهو : تصدق ؛ لأن كنـــت كريماً ، ثم حذفوا لام الجر وحذفوا " كان " وعوضوا عنها بـــ " ما " ، ثم أدغمت أن وما وأبدل ضمير تاء المخاطب المتصل بأنت ، فصار التركيب أما أنت كريماً ، وإن كان مثل هذا التركيب غير مشهور فى استخداماتنا المعاصرة .

ولـــيس بيـــن النواســـخ " كان وأخواتها " ما يجوز حذفه وحده أو مع أحد معموليه أو مع معموليه إلا : " ليس – كان " ، فأمّا ليس فيجوز حذف خبرها .

وأمـــا إذا كان فقد اختصت – وحدها – من بين أخواتها بأنها لا تعمل وهى مذكرة أحياناً أو محذوفة أحياناً أخرى .

والأصل أن تذكر مع معموليها ليقوم كل واحد من الثلاثة بنصيبه فى تكوين الجملـــة وتأدية المعنى المراد ، ولكن قد يطرأ على هذا الأصل ما يقتضى العدول عنه لأسباب بلاغية تدعو إلى حذف واحد أو أكثر .

وصور الحذف أربعة :

- حذف كان وحدها .
- حذف كان مع اسمها فقط .
- حذف كان مع خبرها فقط .
- حذف كان مع معموليها .

وهـــذه الصـــور الأربـــع شائعة فى الكلام الفصيح شيوعاً متفاوتاً يبيح لنا محاكاته والقياس عليه .

هناك عدة أنواع من الحذف تدخل على الجملة المكونة من " كان " واسمها وخبرها ، وهى خاصة بها دون سائر أخواتها .

لحذف كان أربع صور :

الحالة الأولى : أن تحذف جوازاً مع اسمها ويبقى خبرها ، وهذا الحذف كثير بعد إنَّ و " لو " الشرطيتين .

نحو : النَّاس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ " .

والتقدير : إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر .

ونحو : اقرأ ولو كتاباً فى الأسبوع .

والتقدير : ولو كان المقروءُ كتاباً فى الأسبوع .

ومن ذلك قول الشاعر :

حدبت علىَّ بطون مكة كلها   إن ظالماً أبداً وإن مظلوماً

والتقدير : إن كنت ظالماً أبداً وإن كنت مظلوماً ، ومنه قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكاً   جنوده ضاق عنها السهل والجبل

التقدير : ولو كان الباغى ملكاً

إعراب : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ .

خيراً : خبر " كان " المحذوفة مع اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

شراً : خبر " كان " المحذوفة مع اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

والتقدير: إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر.

*** وقول الشاعر :**

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً   فما اعتذارك من قول إذا قيلا

صدقاً : خبر " كان " المحذوفة مع اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

وكذلك : كذباً : خبر كان المحذوفة مع اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة ، والتقدير : إن كان المقول صدقاً وإن كان المقول كذباً .

*** قول النبى ﷺ :**

" التمس ولو خاتماً من حديد "

والتقدير : ولو كان الملتمس خاتماً من حديد .

خاتماً: خبر " كان " المحذوفة مع اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

*** وقول الشاعر :**

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكاً   جنوده ضاق عنها السهلُ والجبلُ

ملكاً : خبر " كان " المحذوفة مع اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة ، وحذف كان مع اسمها دون خبرها جائز وكثير بعد " إنّ " و " لو " الشرطيتين .

فمثاله بعد " إنّ " :

المرء محاسب على عمله ، إن خيراً يكن الجزاء خيراً ، وإن شراً يكن الجزاء شراً .

فالأصل : المرء محاسب على عمله ، إن كان العمل خيراً يكن الجزاء خيراً ، وإن كان شراً يكن الجزاء شراً .

فقد حذفت " كان مع اسمها " .

ومـــثال حذفهـــا بعـــد " لو " الشرطية : تعود الرياضة ولو ساعةً فى اليوم واحذر الإرهاق ولو برهة قصيرة .

فالأصـــل : تعـــود الرياضــــة ولو كانت الرياضة ساعة فى اليوم ، واحذر الإرهاق ولو كان الإرهاق برهة قصيرة ، فحذفت " كان " مع اسمها وبقى الخبر .

الحالة الثانية : أن تحذف مع خبرها ويبقى اسمها بعد إن ولو الشرطيتين أيضاً ، نحو : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرٌ فخيرٌ وإن شرٌ فشرٌ .

والتقدير: إن كان فى أعمالهم خير فجزاؤهم خير وإن كان فيهم شر فجزاؤهم شر.

وهـــذا الحذف جائز ، ولكنه ضعيف جداً ، وحذف " كان " مع خبرها دون اسمها فجائز بعد " إن ، ولو " الشرطيتين أيضاً مع قلته .

ومـــثاله بعد " إن " الشرطية : المرء محاسبٌ على عمله إن خير فخير ، وإن شر فشـــر . **فالأصل** : المرء محاسب على عمله إن كان فى عمله خير فجزاؤه خير وإن كان فى عمله شر فجزاؤه شر .

ومثاله بعد " لو " الشرطية : أطعم المسكين ولو رغيف .

أى : ولو كان فى بيتكم رغيف .

أو : ولو يكون عندكم رغيف .

الحالـــة الثالثة :أن تحذف مع اسمها وخبرها وجوباً بعد إنْ الشرطية ويعوض من ذلك كله ما الزائدة كقولهم : افعل هذا إمّا لا .

والتقدير : افعل هذا إن كنت لا تفعل غيره .

إن تحـــذف " كـــان " مع اسمها وخبرها وتأتى " ما " الزائدة عوضاً عنها جميعاً وذلك بعد " إن " الشرطية ، نحو : افعل هذا إمّا لا .

والـــتقدير : افعل هذا إن كنت لا تفعل غيره ، وقد حذفنا عدة أشياء هى : "كنت" المركبة من " كان واسمها و " تفعل " وهى جملة فعلية فى محل نصب خبر

"كـــان" وبقيـــت " لا " الداخلـــة على الخبر ، ثم زيدت " ما " بعد " إن " الشرطية فصارت " إن ما " ثم أدغمت النون فى الميم فصارت " إمَّا " .

وحـــذف كـــان مع معموليها فواجب بعد " إن " الشرطية أيضاً ، ولكن فى أسلوب معين مثل : اذهب إلى الريف صيفاً إمَّا لا .

والأصل : اذهب إلى الريف صيفاً إن كنت لا تذهب إلى غيره .

حذفت كان وهى فعل الشرط مع اسمها ومع خبرها دون حرف النفى الذى قبله وأتينا بكلمة : " ما عوضا عن " كان " وحدها ، وأما اسمها وخبرها فقد حذفا بغير تعويض .

وبسبب العوض كان حذفها واجباً فلا تجتمع هى وكلمة " ما " وأدغمت فيها النون من : " إن " الشرطية فصار الكلام " إمَّا لا " وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ،وتقديره مثلاً: فافعل هذا .

ونحو : أن تقول لشخص : ساعد المحتاج ببعض المال "

فيجيب : " ليس عندى ما يزيد على حاجتى .

فـــتقول : " ساعده بالمعاملة الكريمة إمَّا لا فأصل الكلام : ساعده بالمعاملة الكريمة إن كنت لا تملك غيرها وجرى على الجملة من الحذف والتقدير ما جرى على سابقتها .

وحـــذف كـــان هـــنا واجب لوجود عوض عنها ، فهو الموضع الثانى من موضـــعى الحـــذف الواجـــب بســـبب العوض ، إذ لا يصلح الجمع بين العوض والمعوض عنه وقد حذف معها معمولاها .

ومـــن الأمثلة الشائعة لحذف كان مع معموليها بعد " إنْ " من غير تعويض قولك لآخر : أتسافر وإن كان البرد شديداً ؟

فتجيب : نعم ، وإنْ

أى : أسافر وإن كان البرد شديد .

ومثال : أتعطى السائل وإن كان أجنبياً ، فيجيب : وإن .

أى : أنا أعطيه وإن كان أجنبياً .

ومثل هذا الحذف جائز عند عدم اللبس ، ووجود قرينة تدل على المحذوف ومثله قول الشاعر :

قالت بناتُ الحيِّ يا سلمى وإنْ كان فقيراً معدماً قالت : وإن

أى : وإن كان فقيراً تزوجتُه

الحالة الرابعة : أن تحذف وحدها وجوباً بخمسة شروط :

١- أن تأتى صلة لـــ " أن " المصدرية .

٢- أن يدخل على أن حرف التعليل .

٣- أن تتقدم العلة على المعلول .

٤- أن يحذف الجار .

٥- أن يؤتى بعد " ما " تعويضاً ، وذلك نحو : أمَّا أنت ناجحاً هنأتُك .

والأصل : هنأتك لأن كنت ناجحاً .

ثـــم قدمـــت العلة ، فصار : لأنْ كنت ناجحاً هنأتك ، ثم حذفت لام التعليل اختصـــاراً ، ثم حذفت كان اختصاراً أيضاً ، وانفصل الضمير عند حذفها وزيدت "مـــا" تعويضاً ثم أدغمت نون " أن " فى ميم " ما " بعد قلبها ميماً لتقارب الحرفين مع سكون الأول وكونهما فى كلمتين .

ومن هذا الحذف قول الشاعر :

أبا خرشة أمَّا أنت ذا نفرٍ فإنَّ قومى لم تأكلهم الضبع

وأصله : فخرت علىّ ؛ لأن كنت ذا نفر ثم قدّم العلة على المعلول فصار : لأن كنتَ ذا نفر فخَرت علىّ ، ثم حذف لام التعليل ومتعلقها فخرتَ ، فصار : أنْ كنـــتَ ذا نفـــرٍ ، ثم حذف كان ، فانفصل الضمير ؛ لأنه لم يبق فى الكلام عامل يتصل به ، ثم أتى بـــ " ما " الزائدة تعويضاً ثمّ أدغم نون " أن " فى ميم " ما " .

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإن قومى لم تأكلهم الضبع

" أمَّـــا " مكونـــة مـــن أن المصـــدرية و " ما " الزائدة النائبة عن " كان " المحذوفة ، ولقد تمّ إدغام النون فى الميم ، فصارت " أمَّا " بتشديد الميم .

أما اسم " كان " المحذوفة فهو الضمير " أنت " وخبرها " ذا " وتقدير الكلام : لأن كنت ذا نفر " .

وأبـــو خراشة : هو خفاف بن ندبة ويخاطبه بهذا البيت العباس بن مرداس قـــائلاً : إن كنت كثير القوم معتزاً بجماعتك فإن قومى موفورون لم تأكلهم السنة المجدبة والعرب تقول : أكلتنا الضبع للدلالة على ذلك وهى استعارة .

إعراب البيت :

أبا خراشة أمَّا أنْتَ ذَا نفرٍ   فإنَّ قومى لَمْ تأكلهم الضبع

أبا: منادى بأداة نداء محذوفة ، منصوبة بالألف ؛ لأنه من الأسماء الخمسة.

خراشة : مضاف إليه مجرور وعلامة جره نفسه الفتحة ؛ لأنه ممنوع من الصرف .

لأمَّـــا : أصلها " أن ما " ، أن : حرف مصدرى ، ما : زائدة عوضاً عن "كان" المحذوفة .

أنت : ضمير منفصل فى محل رفع اسم كان المحذوفة .

ذا : خبرها منصوبة وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة .

نفـــر : مضاف إليه ، و " أن " المصدرية وما عبدها فى تأويل مصدر فى محل جر بلام محذوفة ، والجار والمجرور متعلقان بفعل تفتخر المفهوم من الكلام .

التقدير : أتفتخر علىّ لكونك ذا نفر ؟

فإن : حرف استئناف مع حرف مشبه بالفعل .

قومـــى : اســـم إن ، والضمير المتصل مضاف إليه ، " لم تأكلهم " جازم ومجزوم ومفعول به .

الضبع : فاعل مرفوع ، " جملة النداء " : ابتدائية لا محل لها .

جملة " كنت ذا نفر " صلة الموصول الحرفى لا محل لها .

جملة " فإن قومى " مع الخبر استئنافية لا محل لها .

جملة " لم تأكلهم الضبع " خبر إن محلها الرفع .

الشاهد : أما أنت : حذفت كان وعوض عنها بـــ " ما الزائدة " .

وحـــذف " كـــان " وحدهـــا دون معموليها أو أحدهما ، فواجب بعد " أن " المصدرية فى كل موضع أريد فيه تعليل شيء بشيء مثل :

أمَّا أنت غنياً فتصدق .

فأصـــل هذه الجملة فيما يتخيلون لتوضيحها : تصدَّق ؛ لأن كنت غنياً ، ثم حذفت اللام الجارة تخفيفاً ؛ لأن هذا جائز وقياسى .

قـــيل " أن " فصارت الجملة : تصدق أن كنت غنياً ، ثم تقدمت " أن " وما دخلـــت عليه ، أى : تقدمت العلة على المعلول ، فصارت الجملة " أن كنت غنياً تصدّق " ، ثم حذفت " كان " وأتينا بكلمة " ما " عوضاً عنها وأدغمناها فى " أن " فصـــارت " أمَّا " ، والحذف هنا واجب لوجود العوض عن " كان " وبقى اسم ما بعد حذفها ، وهو : تاء المخاطب ، ولما كانت التاء ضميراً للرفع متصلاً لا يمكن أن يستقل بنفسه أتينا بدله بضمير منفصل للرفع يقوم مقامه ويؤدى معناه وهو : " أنت " فصارت " أما أنت غنياً فتصدق " .

ومـــثلها : " أمَّا أنت قوياً فاعمل بجد " و" أما أنت شاباً فحافظ على شبابك بالحكمة " .

حذف لام المضارع فى يكون :

لعلـــه مما يتصل بـــ " كان " حذف لام المضارع بشرط أن يكون مجزوماً بالســـكون وأن لا يكون بعده ساكن ولا ضمير متصل ، قال الله تعالى ﴿ **وَلَمْ أَكُ بغياً** ﴾ [1] .

([1]) سورة مريم : ٢٠ .

أك : فعـل مضـارع مجزوم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف واسمها ضمير مستتر وجوباً تقديره " أنا " .

بغيا : خبر " أك " منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

وقول الشاعر :

ألم أك جاركم ويكون بينى وبينكم المودّة والإخاء

أى " أى أكن " .

وتحذف نون " كان " من الفعل تخفيفاً إذا اجتمع لجملتها الصفات التالية:

[أ] أن تكون بلفظ المضارع { أكون – يكون – تكون – نكون } ، فلا تحذف نون الماضى ولا الأمر ولا غيرهما من الصيغ التى ترد منها .

[ب] أن يكـون المضـارع مجـزوماً ، فلا تحذف إذن من المضارع المرفوع أو المنصوب .

[ج] أن يكـون المضـارع مجزوماً بالسكون مثل " لم يكنْ " فإن كان من الأفعال الخمسة لا تحذف نون الفعل ؛ لأن جزمه بغير السكون .

[د] أن يكون الحرف الذى يلى النون حرفاً متحركاً فإن وليها ساكن لا تحذف نون الفعل .

[هـ] ألا يكون الفعل متصلاً بضمير نصب متصل – فإن اتصل به هذا الضمير لا حذف .

هـذه الصـفات المتعددة إذا اجتمعت فى جملة الفعل الناسخ " يكون " صح حذف نونه من الكلام ، وهو حذف جائز لا واجب ، فإنه يصح أيضاً ذكرها ، وإن اجتمعت كل هذه الصفات التى ذكرها ابن هشام فى " قطر الندى وبل الصدى " فى عبارة واحدة وهى حذف نون مضارعها المجزوم بالسكون إن لم يلقها ساكن ، ولا ضمير نصب متصل ، ومن ذلك قول القرآن :

﴿ قالت أنَّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ﴾ (١) .

---

(١) سورة مريم : ٢٠ .

وقول الشاعر :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب   ولم يك حقاً كلُّ هذا التجنب

الشاهد فى : " لم يك كل هذا التجنب "

حيث حذفت نون " يكن " تخفيفاً ، وذلك بعد استيفاء الشروط .

وقول الشاعر :

ومن يك ذا فم مُرٍ مريضٍ   يجد مُرّاً به الماءَ الزلالا

الشاهد : " من يك ذا فم مرٍّ مريض "

حيث حذفت نون " يكن " لاستيفائها الشروط .

والبيت حكمة تقال لكل شخص اصطبغت نظرته للناس والأشياء .

وقول الشاعر :

ألم أك جاركم ويكون بينى   وبينكم المودة والإخاء

ولا يجوز حذف لام مضارها إن كان غير مجزوم ، نحو : لن أكون متهاوناً.

ولا يجوز حذف لام مضارعها إن كان متصلاً بضمير نصب ، نحو : قول الرسول ﷺ : " إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لم يكنه فلا خير لك فى قتله " .

ولا يجوز حذف لام مضارعها إن كان متصلاً بساكن ، نحو : لم يكن الأستاذ حاضراً .

وقد أجازه يونس بن حبيب مع الساكن ووافقه ابن مالك [1] تمسكاً بنحو قول الخنجر بن صخر الأسدى [2] :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة   فقد أبدت المرآة جبهة ضيغمِ

وقول الشاعر :

إذا لم تك الحاجات من همة الفتى   فليس بمغن عنك عقد الرتائم

---

(1) السيوطى : همع الهوامع ١٢٢/١ .

(2) أوضح المسالك : ٢٦٩/١ .

فقال : " إنها للضرورة الشعرية " .

وقال بعض العلماء : لا بأس بحذفها إن التقت بساكن بعدها ، وما قوله ببعيد من الصواب .

وقد قرئ شذوذاً : ﴿ **لم يكُ الذين كفروا** ﴾ [1]، وهى قراءة شاذة .

وعلى ذلك : إذا دخل جازم على مضارع " كان " فإنه يجزمه ، وتحذف الواو التى قبل النون " وهى الواو التى أصلها عين الكلمة وتنقلب ألفاً فى الماضى" نحو : " لم أكُنْ من أعوان الشر ، ولم تكن من أنصاره " ، وكقول على : لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً .

وأصل الفعل بعد الجازم " لَم أكونْ – لم تكونْ – لا تكونْ . فهو مجزوم بالسكون على النون فالتقى ساكنان ، الواو والنون فحذفت الواو – وجوباً – للتخلص من التقائهما ، فصار الفعل لم أكُنْ – لم تكُن – لا تكُن .

ومثل هذا يقال فى أصل الفعل " يكن " من قول القائل :

إذا لم يكُنْ فيكُن ظل ولا جنىً　　　فأبعد كنّ اللهُ من شجراتِ

ويجوز بعد ذلك حذف النون تخفيفاً فنقول : لك أكُ – لم تكُ – ولا تكُ .

وقول الشاعر :

فإن أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمته　　　وإن تكُ ذا عُتْبَى فمِثْلُك يُعْتِبُ

وهذا الحذف جائز سواء أوقع بعدها حرف هجائى ساكن ، نحو : لم أكُ الذى ينكر المعروف ولم تكُ الصاحبَ الجاحد " .

أم وقع بعدها حرف هجائى متحرك ، نحو : لم أك ذا مَنّ ولم تك مصاباً به ، إلاّ إن كان الحرف المتحرك ضميراً متصلاً فيمتنع حذف النون ، نحو : الشيخُ المقبل علينا يُوحى بأنه صديقى الغائب ، فإن يكنه فسوف تسعد بلقائه وإن لم يكنْهُ فسوف تأسف ، أى : إن يكن إياه ......وإن لم يكن إياه .

---

[1] سورة البينة : ١ .

والأحكـــام علـــى المضـــارع الذى ماضيه كان التامة ، نحو :" صفا الجو واعـــتدل ، فلم تكن سحب ولم يكن برد ولم يكن حر" بإثبات النون وحذفها أى: لم توجد سحب ولم يوجد برد.

ويجـــوز حـــذف نون " يكون " المضارعة بشروط أن تأتى الفعل " كان " بصـــيغة المضارع وأن يكون مجزوماً وأن يليه حرف متحرك وألا يتصل بضمير نصب .

ومن الشواهد القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ **ولم أكُ بغياً** ﴾ [1] .
- وقوله تعالى : ﴿ **ولا تكُ فى ضيق مما يمكرون** ﴾ [2] .
- وقوله تعالى : ﴿ **فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم** ﴾ [3] .

حيث حذفت نون " تكون " .

إذا جـــزم مضارع " كان " حذفت الواو لالتقاء الساكنين فأصبح " لم يكن " والقـــياس يقتضـــى ألا يحذف منه بعد ذلك شيء آخر لكنهم حذفوا النون بعد ذلك تخفيفاً لكثرة الاستعمال، فقالوا : لم يكن وهو حذف جائز لا لازم وله عدة شروط:

- أن يكون من مضارع بخلاف الماضى والأمر .
- أن يكن مجزوماً بالسكون .
- ألا يكون بعده ساكن .
- أن لا يكون بعده ضمير متصل .
- أن يكون ذلك فى الوصل .

فمثال : ما اجتمعت فيه الشروط فوله تعالى : ﴿ **لم نك من المصلين** ﴾ [4].

---

(1) سورة مريم : ٢٠ .

(2) سورة النحل : ١٢٧ .

(3) سورة النحل : ٧٤ .

(4) سورة المدثر : ٤٣ .

ومثال : لم تجتمع فيه الشروط قوله تعالى : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾ [١] ، وقول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في ابن صياد : " إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه فلا ضير في قتله " .

وقد أجاز يونس بن حبيب حذفها مع الساكن ووافقه في ذلك ابن مالك تمسكاً بنحو قوله :

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد يقعن بالسرر

وقول الشاعر :

فإن تك المرآة أبدت وسامة فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

وجمهور النحاة قالوا : إنَّ ذلك ضرورة شعرية، وحذف النون من مضارع يكون يكثر مع كان الناقصة ويقل مع كان التامة .

وقد قرئ قول الله تعالى : ﴿ **وإن تك حسنةٌ يضاعفها** ﴾ [٢] برفع حسنة وحذف النون وهذه هي التامة .

ترتيب الجملة مع كان وأخواتها :

ينبغي هنا الرجوع إلى الترتيب بين المبتدأ والخبر ؛ إذ إنَّ المواضع التي يجب فيها أن يتأخر الخبر هي نفسها المواضع التي يجب أن يتأخر فيها خبر كان وأخواتها إذا أمكن دخول هذه الأفعال ، وكذلك المواضع التي يجب فيها أن يتقدم الخبر على المبتدأ هي نفسها المواضع التي يجب فيها أن يتقدم فيها خبر هذه الأفعال على أسمائها إذا أمكن دخول هذه الأفعال عليها .

والأصل أن يتأخر خبر تلك الأفعال عن اسمها كما يتأخر الخبر عن المبتدأ ، ولكن قد يتقدم الخبر أو " معموله " على الاسم فقط أي يتوسط بين الاسم والفعل ، وقد يتقدم الخبر على الفعل نفسه .

---

(١) سورة البينة : ١ .

(٢) سورة النساء : ٤٠ .

وتقديم الخبر جائز عند البصريين إذا عُرِّيت مما يوجب التقديم أو التوسط أو التأخير بدليل قوله تعالى : ﴿ **أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون** ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ [٢] .

إلا خبر " دام " فلا يجوز تقديمه اتفاقاً لسبقها بحرف مصدر ، وإلا خبر "ليس" عند جمهورر البصريين من متأخريهم وجمهور الكوفيين وهو المختار وحجتهم أنفسهم قاسوها على " عسى ، وخبر عسى " لا يتقدم عليها باتفاق .

واحتج المجيز بنحو قوله تعالى : ﴿ **ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم** ﴾ [٣] ، فـ " يوم يأتيهم " معمول لمصروفاً وتقدمه عليه لا يصح إلا حيث صح تقديم عامله ، وأجيب بأن المعمول ظرف فيتسع فيه ما لا يتسع فى غيره ، أو بأن يوم معمول لمحذوف تقديره يعرفون يوم يأتيهم وليس مصروفاً جملة حالة مؤكدة أو مبنى على الفتح فى محل رفع مبتدأ ، وجملة " ليس مصروفاً " خبره وإذا نفى الفعل بما جاز توسط الخبر بين النافى والمنفى مطلقاً ، سواء كان النفى شرطاً فى العمل أم لا .

نحو : ما قائماً كان زيد / ونحو : ما قائماً زال زيد

ويمتنع التقديم على " ما " عند البصريين والفراء ، وأجازه بقية الكوفيين ، وخص ابن كيسان المنع بغير " زال وأخواتها " ؛ لأن نفيها إيجاب ، وعمم الفراء واجباً على سبيل التخيير ، نحو : كان فى الدار ساكنها – كان فى الدار رجل

فيجوز تقديم الخبر وتوسيطه ولا يجوز تأخيره ، وقد يجب تأخيره كقولك : " كان بعل هند حبيبها " لأجل الضمير وصار عدوى صديقى للإلباس .

فتحصل فى المسألة ثلاثة أقسام :

[١] جائز . [٢] ممتنع . [٣] واجب .

---

(١) سورة سبأ : ٤٠ .

(٢) سورة هود : ٨ .

(٣) سورة هود : ٨ .

المنع فى جميع حروف النفى ويرده قول المغلوط الفريعى :

روج الفتى للخير ما إن رأيته على السن خيراً لا يزال يزيد

فقـدم " خيراً " معمول الخبر على النافية ، والأصل لا يزال يزيد خيراً ، ومجمـل حكـم الناسـخ ومعموليه من ناحية التقديم والتأخير الترتيب واجب بين الناسـخ واسـمه ، فلا يجوز تقديم الاسم على عامله الناسخ ، أما الخبر فإن كان الجملة خالية من ضمير يعود على اسم الناسخ فالأحسن تأخيره عن الناسخ واسمه معـاً ؛ لأن تقدمـه على الناسخ واسمه غير معروف فى الكلام العربى الفصيح ، ويجـب تأخيره عنهما إن كان جملة مشتملة على ضمير يعود على اسم الناسخ ، وحاصـله أن الجملـة الواقعة خبر للناسخ لها حكم واحد هو : التأخير عنهما إما وجوباً وإما جوازاً .

وأما الخبر الذى ليس جملة " المفرد – شبه الجملة " فله ست حالات :

الأولى : وجوب التأخير عن الاسم ، وذلك :

١- عند خفاء الإعراب ، نحو : كان موسى فتاك .

٢- عندما يكون الخبر محصوراً بإلا أو بإنما .

الثانية : وجوب التقدم على الاسم فقط " التوسط بين الناسخ واسمه " ، وذلك حين يكون الاسم مضافاً إلى ضمير يعود على شيء من الخبر مع وجود ما يمنع تقـدم الخـبر على الناسخ ، نحو : يعجبنى أن يكون للثقة أهلها " ، لما فى عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة وهو ممنوع ههنا .

الثالـثة : وجـوب التقدم على العامل الناسخ وذلك حين يكون الخبر اسماً واجب الصـدارة كأسـماء الاستفهام ، وكم الخبرية ، نحو : أين كان الغائب ؟ ، ونحـو : كـم مرة كانت زيارة الصديق ؟ بشرط ألا يكون الناسخ مسبوقاً بشيء آخر له الصدارة .

الـرابعة : وجوب التوسط بين العامل الناسخ واسمه أو التأخر عنهما معاً ، وذلك حيـن يكـون العامل مسبوقاً بأداة لها الصدارة ، ولا يجوز أن يفصل بينها

وبيـــن الناسخ فاصل ، نحو : هل أصبح الثمرُ ناضجاً – هل أصبح ناضجاً الثمرُ .

الخامسة : وجوب التوسط بين الناسخ واسمه أو التقدم عليهما ؛ إذا لم يوجد مانع من التقدم :

١- إذا كان الاسم مضافاً لضمير يعود على شيء من الخبر .

٢- إذا كان الاسم واقعاً فيه الحصر بإلا أو إنما .

السادســـة : جـــواز الأمـــور الثلاثة : " التأخر عن العامل فقط ، والتقدم عليه ، والتوسط بينه وبين الاسم ، وذلك فى غير ما سبق .

وتلك الأحكام تنطبق على جميع أخبار النواسخ فى هذا الباب ، إلا الأفعال التى اشترط لأعمالها سبقها بأداة نفى أو ما المصدرية . أما الأفعال المسبوقة بنفى أو شبهه فتنطبق عليها الأحكام السابقة إلا حالة واحدة وهى وجود النافى " ما " فلا يجوز تقديم الخبر عليه ؛ لأن " ما " لها الصدارة فلا يصح متكلماً مازال الأستاذُ ، ولكن يصح تقدمه على الناسخ وحده ، نحو : ما متكلماً زال الأستاذ .

دام : وأمـــا دام فتنطـــبق عليها الأحكام السابقة إلا حالة واحدة لا تجوز ، وهى تقدم الخبر عليها وعلى " ما " المصدرية الظرفية ، أى أنه لا يجوز فى خبر الفعل " دام " ، حيث يشترط سبقه بما المصدرية الظرفية .

والمعروف أن الحروف المصدرية لا يجوز أن يتقدم عليها شيء من الجملة الـــتى تليها والتى تكون صلة لها ،أى إن الفعل " مادام " يجب أن يسبق خبره كما فى الآية الكريمة ﴿ **وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً** ﴾ [1] .

وإن أجاز النحاة تقدم الخبر على " دام " ، ولكن بعد ذكر " ما " المصدرية الظرفية أولاً ، فتقول مثلاً : أكرم أبنائى ما مطيعين دانوا .

---

(١) سورة مريم : ٣١ .

كما لا يحسن ألا يتقدم الخبر على الناسخ " ليس " حتى لا يختل مفهوم نفى الخـــبر الـــذى تفيده ، وكذلك الأفعال الناسخة المنفية ، وللجملة المنسوخة بكان أو بأحدة نظائرها أربعة أشكال من حيث ترتيبها :

[أ] الترتيب الأصلى : { الناسخ – فالاسم – فالخبر – فمعمول الخبر إن وجد }

مثل : كان الجوُّ صحواً / أصبح سعيدٌ مؤدياً واجبه

وذلـــك كما فى قول القرآن : ﴿ **ذلـك أن لم يكن ربُك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون** ﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿ **ولولا أن يكون الناسُ أمةً واحدة** ﴾ [2] ، وقوله تعالى:﴿ **فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾[3] ، ونحو : كان الله حكيماً ، وهذا الترتيب هو الأصل والأشهر .

[ب] أن يتوسط الخبر بين الناسخ واسمه ،

نحو : – كان فى الدار صاحبها. / كان قائماً زيدٌ .

وقوله تعالى : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ [4] .

كان : فعل ناقص ناسخ . حقاً : خبر كان منصوب مقدم .

نصر : اسم كان مرفوع مؤخر .

وهـــذا توســـط جوازى، وقد يكون التوسط وجوبياً ، كما فى قول القرآن : ﴿ **إن كان لكم كيد فكيدون** ﴾ [5] ، ومنه قول الشاعر :

سلى إن جهلت الناس عنَّا وعنهم فليس سواءً عالم وجهول

والأصل : ليس عالم وجهول سواءً ، ومنه قول الشاعر :

لا طيب للعيش مادامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم

---

(1) سورة الأنعام ١٣١ .

(2) سورة الزخرف : ٣٣ .

(3) سورة النساء : ٥٩ .

(4) سورة الروم : ٤٧ .

(5) سورة المرسلات : ٣٩ .

[ج] تقـــدم الخبر على الفعل " الناسخ " والاسم ، وهذا يجوز مع كل الأفعال عدا " ليس – مادام " ، وبالطبع لا يكون هذا الترتيب فى الأفعال التامة :

مثال : – مشرقاً أصبح اليوم .

– مؤدياً كان محمدٌ .

– معتدلاً ظلَّ الجوُّ .

وهـــذا الـــتقدم إذا ما كان من أسماء الصدارة وذلك كما فى قول القرآن :

﴿ **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ [١] ،وهو تقدم واجب على الناسخ واسمه .

وقد يكون تقدم الخبر على الناسخ واسمه اختيارياً كما فى قولك :

– عظيماً كان طوافُنا حول الكعبة .

– رائعاً كان دفاع المحامى .

فالخـــبر هنا جائز التقديم ، وقد يمتنع تقدمه مع كل من الفعل " ليس ودام " كما يمتنع تقديم الخبر على كل ناسخ منفى بما .

[د] فـــى حالـــة وجود معمول شبه جملة للخبر ، جاز ذلك أن ترتبه على أكثر من وجه .

- فإمـــا أن يأتى متأخراً – بعد الخبر – على الأصل كما فى قولك : أضحى الحجيج واقفين بعرفات .
- وإما أن يتوسط المعمول بين الناسخ واسمه كما فى قولك : أضحى بعرفات الحجيج واقفين .
- وإمـــا أن يتوســـط ذلـــك المعمول بين اسم الناسخ وخبره ، كما لو قلت : أضحى الحجيج بعرفات واقفين .

فإذا كان لخبر هذه النواسخ معمول ، فإما أن يكون شبه جملة فنقول : بات أمام المصرف شرطى واقفاً ، أو بات الشرطى أمام المصرف واقفاً .

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٧ .

الخلاصة :

الأصل فى الاسم أن يلى الفعل الماضى ، ثم يجىء بعده الخبر ، وقد يعكس الأمـــر فـــيقدم الخـــبر علـــى الاسم ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ [1] .

ويجوز أن يتقدم الخبر عليها وعلى اسمها معاً إلا " ليس " وما كان فى أوله " ما " النافية أو " ما " المصدرية فيجوز أن يقال :

مُصِحية كانت السماء " – وغزيراً أمسى المطرُ

ويمتنع أن يقال :

جاهلاً ليس سعيدٌ – كسولاً مازال سليم – أقف واقفاً مادام خالد

وأجازه بعض النحاة فى غير " مادام " .

أمـــا تقدم معمول خبرها عليها فجائز أيضاً ، كما يجوز تقدم الخبر ، مثل: أنفسهم كانوا يظلمون.

ملاحظات وأحكام مهمة على كان وأخواتها :

[١] بعـــض أخـــوات " كان " جامد لا يأتى منه إلا الماضى وهما فعلان " ليس – مادام " وبعضها ناقص التصرف ، أى يأتى منه الماضى والمضارع فقط ، وهـــى { مـــازال– ما انفك – ما فتئ – ما برح } ، وبعضها تام التصرف وهو سائر الأفعال الناقصة من أخوات كان .

[٢] أحكـــام اســـم كان وأخواتها ، من حيث أشكاله وترتيبه وذكره وحذفه كأحكام الفاعل تماماً .

[٣] العلاقـــات التى بين الأفعال الناقصة وأسمائها ، من حيث المطابقة فى الجنس والعدد هى كالعلاقات بين الفعل والفاعل تماماً .

[٤] أشكال خبر الفعل الناقص وأحكامه هى نفسها أشكال وأحكام خبر المبتدأ .

---

(١) سورة الروم : ٤٧ .

[٥] إذا وقع خبر " كان " وأخواتها جملة فعلية ، فالأكثر أن يكون فعلها مضارعاً ، وقد يجيء ماضياً بعد { كان – أمسى – أضحى – ظل – بات – صار } وحينئذ يجب اقترانه بـ " قد " إلا مع " كان " فيجوز عدم الاقتران .

فمثال اقترانه : أمسى زيد قد عرف واجبه .

ومثال عدم الاقتران مع " كان " خاصة قوله تعالى : ﴿ **إن كنت قلته فقد علمته** ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿ **وإن كان كبر عليك إعراضهم** ﴾ (٢) ،وقوله تعالى : ﴿ **إن كان كبر عليكم مقامى** ﴾(٣) .

[٦] إذا وقع خبر كان وأخواتها جملة مضارعية وكان الفعل الناقص بصيغة الماضي ، فالمضارع الذى فى الخبر زمنه ماضٍ كزمن الفعل الناقص ، نحو : كانت السماء تمطر .

[٧] قواعد الترتيب بين أسماء " كان " وأخواتها ، وبين أخبارها مثل : " نائماً كان زيدٌ " ، ماعدا الأفعال المسبوقة بالنفى { مازال – ما فتئ – ما برح – ما انفك – ليس } ، فهذه الأفعال قد اختلفوا فيها فأجاز بعضهم تقديم أخبارها عليها ومنعه آخرون ، أما " مادام " فقد اتفقوا على منع تقدم خبره عليه .

[٩] اختلف البصريون والكوفيون فى تقديم معمول الخبر على الاسم ، فأجاز الكوفيون أن يقال : " كان طعامك زيدٌ آكلاً " ومنعه البصريون .

[١٠] أجاز الجميع تقدم معمول الخبر على الفعل الناقص مثل : أنفسهم كانوا يظلمون .

[١١] كل ما تصرف من الأفعال الناقصة وكل ما اشتق منها وكل مصادرها تعمل عملها ،فترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، مثال:

أنت صائر بطلاً – يسرنى كونك ناجحاً

---

(١) سورة المائدة : ١١٦ .

(٢) سورة الأنعام : ٣٥ .

(٣) سورة يونس : ٧١ .

أنت : مبتدأ .

صائر : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

وهم : اسم فاعل ناقص ، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره " أنت " .

بطلاً : خبر منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو خبر اسم الفاعل الناقص .

يسرنى كونك ناجحاً :

يسرنى : فعل مضارع مرفوع ، ونون وقاية ومفعول به .

كون : فاعل يسرنى وهو مصدر ناقص .

ك : ضـــمير متصل فى محل جر بالإضافة، وفى محل رفع على أنه اسم للمصدر الناقص .

ناجحاً : خبر المصدر الناقص منصوب .

[١٢] إذا عـــادت لهذه الأفعال الناقصة معانيها اللغوية التى فُرغت منها ، رجعت أفعالاً تامة فمرفوعها عندئذ فاعل، وإن كان لها منصوب فهو حال لا خبر ، مثل قولـــه تعالى : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ [١] ، أى : إن وجد ذو عسرة .

[١٣] الاسم فى هذا الباب يجرى مع الفعل الناقص مجرى الفاعل فى جميع أحكامه ، من حيث التزام التأخير وإفراد العامل وما شاكل ذلك ، ويجرى مع الخبر مجرى المبتدأ فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير .

[١٤] إذا وقع خبر كان وأخواتها " جملة فعلية " فالأكثر أن يكون فعلها مضارعاً ، نحو : كان الأستاذ يشرح الدرس لتلاميذه .

وقد يجيء ماضياً مقترناً بـــ " قد " بعد ستة منها : { كان – أمسى – أصبح – أضحى – ظل – بات } فيقال : كان سليمٌ قد انطلق – أصبح الحى قد خلا .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٠ .

معنى كائناً ما كان :

من الأساليب الأدبية الشائعة " كائناً ما كان " و " كائناً من كان " فى مثل " سأفعل ما يقضى به الواجب كائناً ما كان " .

سأحقق الغرض الكريم كائناً ما كان .

أى : سأفعل ذلك مهما جدّ من الأمور ومهما كان ذلك الواجب وذلك الغرض .

سأرد الظالم كائناً من كان .

سأكرم النابغ كائناً من كان .

أى : سأفعل ذلك مهما كان الإنسان الظالم أو النابغ .

أما إعرابه : فمتعدد الأوجه وأيسر ما يقال وأنسبه هو :

كائناً : حال منصوب واسمه ضمير مستتر تقديره " هو " يعود على الشيء السابق صاحب الحال ، وذلك لأنه اسم فاعل من " كان " الناقصة فيعمل عملها .

ما أو من : نكرة موصوفة مبنية على السكون فى محل نصب خبر كائن .

وكان : فعل ماض تام وفاعله ضمير مستتر يعود على " ما " أو "من ".

والجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب صفة " ما " أو " من " .

والتقدير النحوى : سأفعل ذلك كائناً شيئاً كان أو : كائناً إنساناً كان ، أى : سأفعل ذلك كائناً أى شيء وجد ، أو : أى إنسان وجد .

زيادة حرف الجر الباء فى الخبر :

أولاً : زيادة الباء فى خبر كان :

كـــان وأخواتها – فيماعدا الأفعال التى يشترك أن يسبقها نفى أو شبهه مثل "مازال" قد يسبقها نفى فيكثر حينئذ دخول الباء على الخبر مثل:ما كان زيد بمهمل.

ما : حرف نفى مبنى على السكون لا محل لها من الإعراب .

كان : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح .

زيد : اسم كان مرفوع بالضمة الظاهرة .

بمهمـــل : الباء حرف جر زائد ، ومهمل : خبر كان منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

وإذا دخـــل حرف الجر الزائد على خبر " كان " أو خبر " ليس " المسبوقة بنفى يكون الخبر مجروراً باعتبار اللفظ وإن كان منصوباً باعتبار الوظيفة .

ما كان العدو بمتغط من هزيمته .

ثانياً : زيادة الباء فى خبر ليس :

اختصـــت " ليس " من بين سائر أخوات " كان " بكثرة ورود خبرها مقترناً بالباء الزائدة ، قال تعالى : ﴿ **أليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى** ﴾ [1] :

أليس : الهمزة حرف استفهام مبنى على الفتح .

و " ليس " : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح .

ذلك : ذا : اسم إشارة مبنى على السكون فى محل رفع اسم " ليس " واللام للبعيد ، حرف مبنى على الكسر والكاف للخطاب حرف مبنى على الفتح .

بقادر :الباء حرف جر زائد مبنى على السكون .

قادر : خبر" ليس " منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

---

(١) سورة القيامة : ٤٠ .

يكـــثر دخـــول الباء الزائدة – على وجه الخصوص – على خبر ليس نحو قوله تعالى : ﴿ **لست عليهم بمسيطر** ﴾ [1] .

لست : فعل ماض ناقص مبنى على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ، والتاء ضمير متصل مبنى على الفتح فى محل رفع اسم ليس .

عليهم : جار ومجرور متعلق بمسيطر .

بمسيطر : الباء حرف جر زائد .

مسيطر : خبر ليس منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

---

[1] سورة الغاشية : ٢٢ .

الباب الثالث

الأفعال غير المتصرفة

كاد وأخواتها :

كاد وأخواتها تعمل عمل " كان " فترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، وتسمى أفعال المقاربة .

أقسام " كاد " وأخواتها :

[١] أفعـال المقاربة : وهى ما تدل على قرب وقوع الخبر وهى ثلاثة : { كاد – وأوشـك – وكـرب } ، تقول : " كاد المطر يهطل " – أوشك الوقت أن ينتهى – كرب الصباح أن ينبلج " .

[٢] أفعـال الرجاء : وهى ما تدل على رجاء وقوع الخبر ، وهى ثلاثة : { عسى – حرى – اخلولق } ، نحو : عسى الله أن يأتى بالفتح .

وقول الشاعر :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب

ونحو : حرى المريض أن يشفى .

ونحو : اخلولق الكسلان أن يجتهد .

[٣] أفعال الشروع : وهى ما تدل على الشروع فى العمل وهى كثيرة منها :{ أنشأ – علـق – طفـق – أخذ – هبَّ – بدأ – ابتدأ – جعل – قام – انبرى } ، ومثلها كل فعل يدل على الابتداء ولا يكتفى بمرفوعه .

تقول : أنشأ خليل يكتب   /   علقوا ينصرفون

أخذوا يقرءون   /   ابتدءوا يتقدمون

جعلوا يستيقظون   /   قاموا يتنبهون

انبروا يسترشدون

عملها وشروطه :

تعتبر هذه المجموعة من أخوات " كان " وأخواتها فى عملها ،حيث تختص بالدخول على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، ولكن لماذا لم توضع ضمن أفعال كان ؟

تقـــول : إن هـــذه الأفعال تمتاز بصفات وشروط خاصة ، حيث يجب أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، ويشذ مجيء الخبر مفرداً كقول الشاعر:

غابت إلى فهم وما كدتُ آبيا   وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

كمـــا أنهـــا تنقسم إلى مجموعات لكل مجموعة دلالة محددة مما اقتضى أن تشمل باباً مستقلاً فى النحو ، ويشترط أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، وأن يكون المضارع رافعاً لضمير مستتر يعود على اسمها ، نحو :

كادت الشدائدُ تنتهى   –   عسى الغيمُ ينقشع

أنشأ العاملُ ينسج الثقب   –   أخذت الرياحُ تقصف

هذه الأفعال تعمل عمل كان ، فترفع المبتدأ اسماً لها ويكون الخبر فى محل نصب خبراً لها ، لكن خبرها لا يكون إلا مضارعاً ، مثل:

كاد الماء يغلى   –   عسى الفرج أن يأتى

وندر مجيء الخبر اسماً بعد " عسى ، وكاد " مثل قول الشاعر :

أكثرت فى العذل ملحاً دائماً   لا تكثرن إنى عسيت صائماً

الشاهد : مجيء خبر عسى اسماً مفرداً صائماً وهو نادر .

الشـــاهد " عسيت صائماً " حيث أجرى عسى مجرى كان ، فرفع بها الاسم ونصب الخبر وجاء بخبرها اسماً مفرداً والأصل أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، وفى البيت توجيه آخر وهو أن " عسى " هنا فعل تام يكتفى بفاعل وهو هنا تاء المتكلم .

الإعراب :

أكثرت: أكثر: فعل ماض مبنى على السكون العارض لاتصاله بتاء المتكلم.

التاء : ضمير متصل مبنى على الضم فى محل رفع فاعل للفعل .

فى : حرف جر .

العذل : اسم مجرور بفى وعلامة جره الكسرة .

فى العذل : جار ومجرور متعلق بأكثر .

ملحاً : حال من التاء فى أكثرت مؤكدة لعاملها .

دائماً : صفة للحال منصوبة بالفتحة .

لا تكثرن : لا : ناهية ، والفعل المضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جزم بلا ، ونون التوكيد حرف مبنى على السكون لا محلّ له والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره " أنت " .

إنى : إن : حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح .

والياء : اسم إنَّ ضمير متصل مبنى فى محل نصب اسم إن .

عسيت : عسى : فعل ماض ناقص .

وتاء المتكلم اسمه . " صائماً " خبره ، والجملة من " عسى واسمها وخبرها " فى محل رفع خبر إن .

وقول الشاعر :

فأبتُ إلى فهم وما كدت آيباً   وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

حيث جاء خبر كاد اسماً مفرداً " آيبا " وهذا نادر .

الشاهد فيه : قوله " وما كدت آيباً " .

حيث أعمل " كاد " عمل " كان " فرفع بها الاسم ونصب الخبر ، ولكنه أتى بخبرها اسماً مفرداً ، والقياس فى هذا الباب أن يكون الخبر جملة فعلية فعلها مضارع ، ولهذا أنكر بعض النحاة هذه الرواية وزعم أنَّ الرواية الصحيحة هى " وما كنت آيباً " .

الإعراب :

فأبــتَ : الفــاء عاطفة . آب : فعل ماض مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل ، وتاء المتكلم : ضمير متصل مبنى على الضم فى محل رفع فاعل .

إلى : حرف جر .فهم : اسم مجرور بالكسرة ، جار ومجرور متعلق بأبتُ.

و " مــا " : الــواو : الــواو حالية ، ما : نافية ، كدتُ : كاد : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمه " آبياً " خبر كاد ، والجملة فى محل نصب حال .

وكــم : الواو حالية ، كم : خبرية بمعنى كثير مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع .

مثلها : مثل : تمييز لــ " كم " مجرورة بالكسرة الظاهرة ، ومثل : مضاف وضمير الغائبة مضاف إليه .

فارقتها : فعل وفاعل ومفعول به ، فارق : فعل ماض ، التاء : فاعل ، ها : مفعول به ضمير متصل .

وهى : الواو للحال ، هى : مبتدأ ضمير منفصل فى محل رفع مبتدأ .

تصــفر : فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه ، والجملة فى محل رفع خبر المبتدأ وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب حال .

وقــد أشــار ابن مالك إلى أن " كاد " وأخواتها تعمل عمل " كان " غير أن خبرها لا يكون إلا مضارعاً وشذ مجيئه اسماً فقال :

ككان " كاد " وعسى لكن ندر   غير مضارع لهذين خبر

وقــول ابن مالك : ندر غير مضارع فيه إبهام ؛ لأن غير المضارع يدخل تحــته الاســم والظرف والجار والمجرور ، والجملة الاسمية والفعلية الماضوية يشمل كل هذا ، ولكن النادر وقوع الاسم خبر فقط ، ولم يندر مجيء غيره خبراً .

شروط خبر كاد وأخواتها :

[١] أن يكون فعلاً مضارعاً مسنداً إلى ضمير يعود إلى اسمها ، سواء أكان مقترناً بــ " أن " نحو : أوشك النهار أن ينقضى .

أم مجرداً : منها : نحو : كاد الليل ينقضى .

ومــن ذلــك قوله تعالى : ﴿ **لا يكادون يفقهون حديثاً** ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ [2] .

ويجــوز بعد " عسى " خاصة أن يُسند إلى اسم ظاهر مشتمل على ضمير يعود إلى اسمها ، نحو : عسى العاملُ أن ينجح عمله .

ومنه قول الشاعر :

وماذا عسى الحجَّاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد

ولا يجــوز أن يقع خبرها جملة ماضية ولا اسمية ، كما لا يجوز أن يكون اسماً وما ورد من ذلك فشاذٌ لا يلتفت إليه،وأمَّا قوله تعالى : ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعــناق ﴾ [3] ، فــــ " مسحاً " ليس هو الخبر ، وإنما هو مفعول مطلق لفعل محذوف هو الخبر ، والتقدير : " يمسح مسحاً " .

[٢] أن يكــون مــتأخراً عنها ، ويجوز أن يتوسط بينها وبين اسمها ، نحو : يكاد ينقضى الوقت .

الإعراب :

الوقت : اسم " يكاد " وفاعل ينقضى ضمير يعود إلى الوقت والجملة خبر .

ويجوز أن يكون " الوقت " فاعلاً لــ " ينقضى " ، فيكون اسم يكاد ضميراً يعود إلى الوقت ، وحينئذ فلا شاهد فيه ؛ لأن الخبر والحالة هذه لا يكون متوسطاً بينهما وبين اسمها ، بل يكون متأخراً عنهما .

ونحو : طفق ينصرفون الناس .

---

(١) سورة النساء : ٧٨ .

(٢) سورة الأعراف : ٢٢ .

(٣) سورة ص : ٣٣ .

الـــناس : اسم " طفق " وجملة " ينصرفون " خبرها ، أما إن قلت : طفقوا ينصـــرف الـــناس ، فلا شاهد فيه ، ويكون ضمير الجماعة اسم " طفقوا " والناس فاعل "ينصرف" .

ويجـــوز حذف الخبر إذا عُلِم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فطفــق مســحاً بالسوق والأعــناق** ﴾ [1] ، ومـــنه الحديث : " من تأنَّى أصاب أو عاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد" ، أى : كاد يصيب ، وكاد يخطيء ومنه قول الشاعر :

ما كاد ذنبى فى جارٍ جعلتُ له عَيْشاً ، وقد ذاق طعم الموتِ أو كربا

أى : كربَ بذوقه ، وتقول : ما فعل ، ولكنه كاد ، أى : كاد يفعل .

[٣] يشترط فى خبر " أحرى واخلولق " أن يقترن بأن .

أفعال المقاربة " كاد وأخواتها " :

عملهـــا : كاد وأخواتها تعمل عمل " كاد " ، فترفع المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها .

وتســـمى أفعال المقاربة ، وليست كلها تفيد المقاربة ، وقد سمى مجموعها بذلك تغليباً لنوع من أنواع هذا الباب على غيره لشهرته وكثرة استعماله .

وأفعـــال المقاربـــة هـــى { كاد – كرب – أوشك } ، فأما " كاد " فعل شبه متصرف ، أى أنه يأتى على صورة أخرى غير " كاد " وهى يكاد ، مع أن النحاة من يأخذ بيت كثير عزة :

أموت أسىً يومَ الرجام وإننى يقيناً لرهن بالذى أنا كائد

دليلاً على استعمال اسم الفاعل من كاد .

وأغلـــب الظـــن أنّ " كائد " هنا إنما جاءت لإقامة القافية ولتوفيق حروف الروى ، والآيات التى وردت فيها الماضى " كاد " فوجدتها عشر آيات ، والآيات التى جاء فيها المضارع " يكاد " أربع عشر آية .

---

(١) سورة ص : ٣٣ .

وقـــد رأى بعـــض النحاة أن نفى المضارع ، أى " يكاد " نفى ، ولكن نفى الماضى " كاد إثبات بدليل ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾[1] .

والصحيح أن إثباتها إثبات ونفيها نفى ؛ لأن معناها المقاربة ، فمعنى " كاد " يفعل قارب الفعل ، ومعنى " ما كاد يفعل " لم يقاربه فخبرها منفى دائماً ، أما إذا كانت منفية فواضح ؛ لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلاً عدم حصوله ، وإلا لم يتجه الإخبار بقربه ، فأما قوله تعالى : ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ [2] .

فإنهـــا منفية مع إثبات الفعل لهم فى قوله " فذبحوها " ، وربما كان فى هذا ردّ علـــى ابن منظور عندما رأى أن " كاد " مجردة تنبئ عن نفى الفعل ومقرونة بالجحد تنبئ عن وقوع الفعل [3] .

وذكر سيبويه أنّ من العرب من يقول فى [كاد زيد يفعل] " كِيدَ زيدٌ يفعلُ ، وما زِيلَ زيدٌ يفعل ذلك " .

يـــريدون " كاد وزال " ؛ لأنهم كسروها فى فعل كما كسروها فى فعلت ، حيـــث أســـكنوا العيـــن وحولوا الحركة على ما قبلها ولم يرجعوا حركة الفاء إلى الأصل [4] .

وأورد ابن منظور لغة لبنى عدى يقولون : كُدتُ أفعل كذا بضم الكاف [5] .

وأما الفعل " أوشك " فقد رأى بعض النحاة أن اسم الفاعل قد استعمل كقول كثير عزة :

فإنك موشك ألا تراها ... وتعدو دون غاضرة العوادى [6]

---

(1) سورة البقرة : ٧١ .

(2) سورة البقرة : ٧١ .

(3) ابن منظور: لسان العرب ٣٨٦/٤ .

(4) سيبويه : الكتاب ٣٦٠/٢ .

(5) اللسان : ٣٨٦/٤ ، سيبويه : الكتاب ٣٦١/٢ .

(6) الديوان ص ٢٢٠ .

وزعم الأصمعى أنه لم يستعمل " يوشك " إلا بلفظ المضارع ، ولم تُستعمل " أوشك " بلفظ الماضى ، وليس بجيد ، بل قد حكى الخليل استعمال الماضى ، وقد ورد فى الشعر كقوله :

ولو سُئِل الناسُ الترابَ لأوشكوا إذا قيلَ هاتوا أن يملُّوا ويمنَعوا

وقد رجعتُ إلى كتاب سيبويه فى المظان المختلفة للفعل " يوشك " فلم أجد حكاية الخليل هذه ، بل إنّ سيبويه أنشد الشاهد :

يــوشك من فـــرّ مـــن منيتـــه فى بعض غـــرته يوافقهـــا [1]

علـــى أن هذا لا ينفى أن العرب استعملت صيغة الماضى ، فبالإضافة إلى الشاهد السابق ابن جنى ينشد :

إذا المرءُ لم يخش الكريهة أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا[2]

وإذا كـــان الاختلاف فى " كاد " أوشك أن يأتيهما من حيث التصرف ، فإن "كـــرب" لـــم يختلف فيها أحد من حيث أن تأتى بلفظ الماضى ، اللهم إلا ما ذكره السـيوطى : " وحكـــى قوم اسم الفاعل من كرب " [3] ، وواضح أنه قول مبهم لا يعتد به ، فهو لم يذكر من هؤلاء القوم ولم يأت بشاهد على ذلك .

وكـــرب لـــم تجـــيء إلاّ علـــى هذه الصورة ليس غير ، فلم يستعمل منها المضارع ، كما استعمل مع " كاد – أوشك " وهى قليلة الاستعمال ، بل إنها نادرة الاســـتعمال ، والمســـتعمل الشائع من أفعال المقاربة " كاد " ولم تأت شواهد على "كرب" إلا شاهدان :

١- كـــــرب القلب من جـــــواه يذوب حين قال الوشاة هند غضوب

٢- سقاها ذوو الأحلام سجلاً على الظمأ وقد كربت أعناقها أن تقطعا [4]

---

[1] سيبويه : الكتاب ٤٧٩/١ .

[2] ابن جنى : الخصائص ٥٣/٣ .

[3] ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٣٣٥/١ .

[4] شرح ابن عقيل : ٣٣٥/١ .

ولـــم ينشد سيبويه شاهداً عليها ، قال : وأما { كاد } فإنهم لا يذكرون فيها "أن " وكذلك " كرب يفعل " ومعناها واحد .

يقولـــون : كرب يفعل ، وكاد يفعل ، ولا يذكرون الأسماء فى موضع هذه الأفعال ، أى لا يكون خبرها مفرداً [1] .

ومـــثار العجب فى " كرب " أن من معانيها التى وردت فى اللسان ما يدل علـــى الغمِّ والحزن والضيق ، وهذه المعانى بعيدة كل البعد عن المقاربة ، فيذكر ابن منظور أن الكرب : الحزن والغم وجمعه كروب ، وكَرَبَه الغم اشتد عليه ،فهو مكروب وكريب وكارب وقيد مكروب إذا كان ضيقاً ، وكلُ شديد العقد من حبل أو بناء فهو كَرِبٌ [2] .

ثم يذكر أيضاً أن من معانيها المقاربة ، فيقال : كرب الأمد يكرب كروباً : دما ، وكل شيء دنا فهو كرب ، وكربت الشمس للمغيب دنت .

قال أبو عبيدة : كرب أى دنا من ذلك وقرب ، ثم يأتى ببعض المعانى التى ترجع إلى القرب ، نحو : إناء كربان إذا كَرَبَ أى قارب أن يمتليء .

وكـــربُ الـــنخلِ أى أصول العسف الغلاظ العراض التى تيبست ، وسميت كذلك ؛ لأنه استغنى عنها وقاربت القطع .

أصل العلاقة بين " كرب " التى تدل على الضيق والشدة الدالة على القرب :

لعل أول ما يجول فى خاطر الدارس أنّ العلاقة تكمن فى اللفظ وليس هناك علاقة معنوية ، فكلمة " قرب " هى نفسها " كرب " بعد إبدال القاف كافاً ولا يمنع أيضاً أن يكون الأصل هو الفعل " قَرُبَ " المتصرف تصرفاً كاملاً ، ثم إنه لنطق معيـــن أو لاستعمال فردى أو لجماعة أو لقبيلة معينة خففوا القاف فصارت كافاً ؛ لأن الحرفيـــن من مخرجين متقاربين ، فمخرج الكاف من الحنك الطرى أو الحنك اللين ،ومخرج القاف من اللهاة ، أى هو صوت لهوى نسبة إلى اللهاة وهو الجزء

([1]) سيبويه : الكتاب ٤٧٨/١ .

([2]) ابن منظور : لسان العرب ٢٦/٢ .

الصغير اللين التى يتدلى من الحافة الخلفية للحنك اللين ، أى هو حد صوت خلفى طبقى .

ويدل على ذلك أيضاً ابن سيدة ذكر تحت عنوان القرب الفعل " قَرُبَ – وقُرْباناً " وذكر معه أيضاً الفعل " كرب " : كرب الأمر يكرب كروباً أى دنا .

وليس معنى إيراد ابن سيده للمادتين متجاورتين أن تقع مادة " قرب – كرب " فى حقل دلالى واحد أى أن يكون هناك تقارباً فى المعنى .

والأصوب عندى أن يكون الفرق بين مادة " كَرَبَ " بمعنى الضيق ، و " قرب " بمعنى القرب ليس إبدال الكاف قافاً ، وإنما يكون الفرق فى حركة غالباً ما تكون هذه الحركة هى " الكاف – الراء " ، كأن تكون " كرب " بمعنى الضيق بفتح الكاف والراء وقرب بضم الراء للقرب ، ويدعم هذا الرأى أن الحركات علاقة قوية يتغير المعنى فى اللغة العربية بصفة خاصة وفى اللغات السامية بلغات عامة

وأضف إلى ذلك أن مبنى الكلمة من الحروف له تأثير على معنى الفعل من ناحية وعلى تعديه أو لزومه من ناحية أخرى [١] .

أفعال الشروع :

وأفعال الشروع : من الأفعال الناسخة غير المتصرفة ، ونلاحظ أنها كثيرة والمستعمل منها قليل ، فهى : { شرع – أنشأ – طفق – أخذ – علق – هبَّ – جعل – هلهل } .

ومن النحاة من زاد عليها { قام – قعد } ، وجميع هذه الأفعال غير متصرفة فهى ملازمة لصورة الماضى ، وذلك إذا استعملناها للشروع ، أما إذا استعملت لغير الشروع فهى متصرفة .

جعل:ويستعمل للشروع فى حالة الماضى وليس له شاهد إلا ما ذكره ابن هشام فى الشذور وفى أوضح المسالك،وكذلك الأشمونى فى شرحه على الألفية [٢]

---

(١) د/ ممدوح عبد الرحمن : القيمة الوظيفية للصوائت ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨م .

(٢) أوضح المسالك : تحقيق محمد محيي الدين ص ٤٨ ، ط١ السعادة ١٩٤٩ م – شرح الأشمونى ١/٢٤٥ .

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يثقلنى ثوبى فانهضى نهض الشارب السكر

وكذلك ما ذكره الشيخ محمد محيي الدين فى تحقيقه على شرح الأشمونى :

وقد جعلت إذا ما حاجة عَرَضَت ببــاب دارك أدلوهــا بأقــــرام

بالإضافة إلى أن البيت الأول فيه اختلاف فى الرواية ، فمن النحاة من يرويه :

وقد جعلت إذا ما قمت يوجعنى ظهرى فقمت قيام الشارب السكر

وفــيه أيضــاً اختلاف فى نسبته إلى قائله : فمنهم من ينسبه إلى أبى حية النمرى ، ومعه بيت آخر ليس غير ، ومنه من ينسبه إلى عمرو بن أحمد الباهلى ومعه أربعة أبيات أخرى .

هذه الاختلافات تثير الشك فى هذا البيت وليس معنى ذلك أننا ننفى استعمال الفعل " جعل " للشروع بأن تقول إن استعماله قليل بل نادر .

وقد ذكر ناظم الألفية هذا الفعل وغيره من أفعال الشروع دون شاهد قال :

كــأنشأ السائق يحدو وطفق كــذا جعلت وأخــذت وعلق

ولــم يــأت ابن عقيل بهذا الشاهد ولا بغيره ، بل قال : وذلك نحو : أنشأ السائق يحدو ، وطفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم ، وأخذ ينظم ، وعلق يفعل كذا .

وســيبويه أيضاً لم يأت بشاهد على " جعل " عندما ذكر أن خبرها لابد أن يكــون جملة فعلية دون " أن " قال ومثله – أى مثل كاد وكرب ... جعل يقول لا نذكر الاسم ههنا ومثله أخذ يقول ... " [1] .

وقد ذكر الزركشى شواهد لكل استعمالات جعل [2] .

أخذ : وهو من أفعال الشروع ، نحو قول الشاعر :

فــأخذت أسألُ والرسوم تُجيبنى إلا اعتبار إجابة وسؤال

مع ملاحظة أن الاستعمال الحديث قد هجر كل أفعال الشروع عدا هذا الفعل.

والفعل علق : من أفعال الشروع ، نحو قول الشاعر :

---

(1) سيبويه : الكتاب ٤٧٨/١ .

(2) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ١٢٨/٤ .

أراك علقت تظلِمُ من أجرنا   وظلم الجارِ إذلالُ المجيرِ [1]

هبَّ : قول الشاعر :

هَبَبْتُ ألومُ القلبَ فى طاعة الهوى   فَلَجَّ كأنى كنتُ باللوم مغرماً [2]

وشاهد الفعل " هلهل " كفعل من أفعال الشروع :

وَطِئنَا ديار المعتدين فهلهلتْ   نفوسهم قبل الإماتة تزهق [3]

وشاهد " أنشأ" كفعل من أفعال الشروع :

لَمَّا تَبَيَّنَ ميلُ الكاشحينَ لَكَم   أنشأتُ أعْربُ عمّا كان مكتوباً

وهذا يرينا أنَّ أفعال الشروع هذه لم تكن موضوعة أصلاً لهذا الاستعمال ، بل إنها لها من المعانى الكثيرة الأخرى المدعمة بالشواهد ما يقوى الظن عندنا أن استعمالها للشروع كان نقلاً وليس أصلاً ، ثم أنها عندما استعملت للشروع لزمت صيغة واحدة لا تتعداها ، بعد أن كانت متصرفة فى الاستعمالات الأخرى .

إن الفعل " علق " مع مشتقاته قد شغل من لسان العرب ما يزيد على أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة وشواهدها .

استعمالات الفعل " علق" فى غير الشروع :

عَلِقَ بالشيء علقاً وعَلَقه نَشِبَ وهو عالق به ، وعلِقَ الصيد فى حبالته أى تشب ، يقال للصائد فأدرِك أى علق الصيد فى حبالتك ، وعلقت مراسى الإبل أى اطمأنت وقرت عيونها بالمرتع ، وعلق قلبه أى أحبَّ وتعلق بها ، وإنه لذو علق بفلانة ، أى ذو شغف بها .

والعلاق ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء ، وعلقة من طعامهم أى بقيته ومنه ليس المتعلق كالمتأنق ليس مَنْ عيشه قليل يتعلق به كما عيشه كثير ،

([1]) شرح الأشمونى : ٥١٠/١ .

([2]) شرح الأشمونى ٥١١/١ .

([3]) السيوطى : همع الهوامع ١٢٨/١ .

والعلق أكل البهائم ورق الشجر ، والصبى يعلق يمص أصابعه ، وعلقتِ الدابة إذا شربت الماء .

فـــإذا ما أتيت إلى استعماله كفعل من أفعال الشروع لم نجد لهذا الاستعمال إلا شاهداً واحداً أنشده الأشمونى :

أراك علقت تظلم من أجرنا وظلم الجار إذلال المجير [١]

الفعل طفق :

أمـــا الفعل " طفق " فله ميزة خاصة به ، فقد ورد فى القرآن الكريم كفعل مـــن أفعال الشروع دون باقى الأفعال ، وقد ورد مرتين وفى كلتيهما كان بصيغة الماضى لم يتجاوزها :

الأولى : فى قوله تعالى : ﴿ **طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ [٢] .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ **فطفق مسحاً بالسوق والأعناق** ﴾ [٣] .

فأمـــا الأولـــى فواضح فيها أن " طفق " من أفعال الشروع وخبره جملة " يخصفان " . **وأما الثانية** : فخبرها مفرد وهو " مسحاً " .

ومـــن النحاة من جعله مصدراً فى موضع الحال أى طفق ماسحاً ، ومنهم من جعل التقدير " يمسح مسحاً " أى أن هذا المصدر مفعول مطلق لفعل محذوف ، بذلك تستقيم الجملة الفعلية المقدرة خبراً لـــ " طفق " .

ومعـــنى " طفق " فى المعجم : لزم ، وطفق يفعل كذا ، أى لزم يفعل كذا ، ونلاحظ أن الفعل " لزم " يعطى المعنى نفسه الذى يعطيه " طفق " كفعل من أفعال الشـــروع . وليس هناك استعمالات أخرى جوهرية للفعل " طفق " ماعدا ما ذكره صاحب اللسان ابن منظور : طفق بفلان أى ظفر به [٤] .

---

(١) لسان العرب : لابن منظور ١٣٣/١٢ .

(٢) سورة طه : ١٢١ ، الأعراف : ٢٢ .

(٣) سورة ص : ٣٣ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب مادة [طفق] .

مـــن أجل هذا نستطيع أن نقول : إن " طفق " هى الشروع ارتجالاً وليس نقـــلاً ، وإذا كانت باقى الأفعال ليست مرتجلة أصلاً للشروع ، بل منقولة إليه فإن هـــناك شيئاً يستحق الذكر ذلك أننا نستطيع أن نتلمس مبرراً لهذا النقل فى معانى بعض هذه الأفعال ، فالفعل "شرع" بمعنى " اتخذ " منهجاً كما فى الآيات الكريمة:

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾ [١]

وقوله تعالى: **﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾**[٢].

وقوله تعالى : **﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾** [٣] .

ومـــن هـــنا يأتى الشروع فى الشيء أى البدء أو اتخاذ المنهج فيه ، ومادة "علق" تدل فى بعض استعمالاتها على البداية أيضاً يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ [٤] ، والعلق القطعة اليسيرة من الدم الغليظ الذى أصله المنى ، أى أنه بداية الخلق .

والفعل " هبَّ " فى قولنا " هبت الريح " يدل على أن الريح كانت ساكنة ثم بدأت الهبوب .

---

(١) سورة الشورى : ١٣ .

(٢) سورة الشورى : ٢١ .

(٣) سورة الجاثية : ١٨ .

(٤) سورة العلق : ٢ .

أفعال الرجاء :

وأفعال الرجاء تتميز بعدم التصرف ويتكون من الأفعال { عسى – حرى – اخلولق } .

عسى :

جاء فى اللسان والقاموس: عسا الشيخُ يعسو عَسْواً وعَسِياً وعَسَاءَ ، أى : كَبِرَ مثل عَتِىَ .

يُقال للشيخ إذا ولَّى وكَبِرَ عتا يعتو عَتِيا ، وعَسَا يَعْسُو مِثْلُه ، ، وَعَسَا النباتُ عَساءَ وعُسُواً غَلُظَ ويَبس .

والعايس النَّخْلُ ، وعسى الليلُ اشتدت ظلْمتَهُ ، وقد ذكر اللغويون " عسى " كفعل من أفعال المقاربة ، والفعل " عسى " مسنداً إلى النبات يكون بمعنى " غَلُظَ وييبس " أى بلغ النهاية أو قاربها .

وبالنسبة لليل : أى اشتدت ظلمته وبلغ الذروة بعد أن انتهى النهارً .

وكلمة " عسى " ربما تكون اختصاراً لكلمة أكبر كانت تستعمل لتلك المعانى جميعاً ومنها الرجاء ، ثم اختصرت أو اختزلت على مر العصور حتى أصبحت على صورة يؤيد ذلك نتيجة بحث اللغويين فى تطور الكلمة ، فقد وجد اللغويون أنَّ الاتجاه فى تطور البنية للكلمات ، نحو : الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التضخيم ، أى أنهم شاهدوا أن اللغات أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتضمن كلمات كثيرة الحروف طويلة البنية متعددة المقاطع ، وأن هذه الكلمات بتوالى العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع .

وهناك كلمات كثيرة مشتقة من هذا الفعل وتدل على الرجاء أيضاً ، وذلك نحو المُعْسِية .

وفى حالة إسناد الضمائر إلى الفعل " عسى " يلزم أهل الحجاز عسى حالتى الإفراد والتذكير ، سواء أسندت إلى مؤنث أم جمعاً فيقال :

زيد عسى أن يقوم ، والزيدان عسى أن يقوما ، والزيدون عسى أن يقوموا.

وهند عسى أن تقوم – والهندان عسى أن تقوما – والهندات عسى أن يقمن.

أمـــا بنو تميم : فهم يغيرون " عسى " بتغير الاسم قبلها ، فتؤنث عن كان مؤنثاً وتثنى إن كان مثنى وتجمع إن كان جمعاً ، وتفرد إن كان مفرداً ، فيقال :

– زيد عسى أن يقوم .

– والزيدان عسيا أن يقوما .

– والزيدون عسوا أن يقوموا .

– هند عست أن تقوم .

– والهندان عستا أن تقوما .

– والهندات عسين أن يقمن .

وجـــاء التنزيل بإفراد " عسى " إلا آيتين أسندت " عسى " فيهما إلى ضمير رفع ؛ لأنه قد فُصِل بين اسمها وخبرها بجملة طويلة ، والآيتان هما :

قوله تعالى : ﴿ **قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا** ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض** ﴾ [2] .

ولغـــة بنى تميم هى الأقدم ، فإسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمـــر مـــنطقى ، ويتماشى مع استعمال الأفعال الأخرى ، نحو : الزيدان ضربا – الهـــندان ضـــربن ، إلا أنّ عدم تصرف هذا الفعل إلا على صيغة واحدة ، وهى صـــيغة الماضى قد جعله عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الضمائر وكأنه قد ثبت على صورة واحدة وهى " عسى " .

---

(1) سورة البقرة : ٢٤٦ .

(2) سورة محمد : ٢٢ .

النواسخ بين الفعلية والحرفية :

اختلف النحاة فى " عسى " هل هى فعل أم حرف ، كما اختلفوا فى "ليس" .

وعـــدم التصـــرف أدَّيَا إلى اختلاف النحاة فى كونها فعلاً أو حرفاً وبعض استـــعمالات " عســـى " من واقع النصوص اللغوية الموثوق بها تؤيد أنها فعل ، وبعـــض اســـتعمالاتها تؤيد أنها حرف ، والسبب فى ذلك عدم معرفة أصلها على وجه اليقين .

فمـــن استعمالها حرفاً ما نص عليه سيبويه : "وأما قولهم " عساك " فالكاف منصـــوبة ، قـــال الراجـــز وهو رؤبة : يا أبتِ علَّك وعساك ، والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتك (نى): قال عمران بن حطان :

ولِى نفسى لها إذا ما تُنازعُنى لعلَّى أو عَسَانى

فلو كانت الكاف مجرورة لقال " عساى " ، ولكنهم جعلوها بمنزلة لعل فى هذا الموضع ، فهذان الحرفان لهما فى الإضمار هذه الحال " [1] .

وقـــد نـــصّ ابـــن هشام [2] على ذلك فى المعنى ، حيث قال : يقال عساى وعساك وعساه وهو قليل وفيه ثلاثة مذاهب :

ثـــم يذكـــر المذهب الأول : " أنها أجريت مجرى " لعل " فى نصب الاسم ورفـــع الخبر ، كما أجريت " لعل " مجراها فى اقتران خبرها بأن ، ثم يأتى ببيت صخر بن جعد :

فقلتُ عَسَاهَا نار كأسٍ وعلَّها تشكَّى فأتى نحوها فأعُودُها

دلـــيلاً على أن خبرها مفرد مرفوع وليس جملة [3] ، ومن استعمالاتها فعلاً قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا**

---

(1) سيبويه : الكتاب ١/٣٨٨-٣٨٩ .

(2) مغنى اللبيب : لابن هشام ص ٢٠٣ .

(3) ابن هشام : مغنى اللبيب ص ٢٠٤ .

أرحامكم ﴾ [١] ، ومن هذا الاستعمال أيضاً مجيء خبرها مفرداً وليس جملة ، كما في قولهم " عسى الغُوَيْرُ أبؤساً " .

قال سيبويه: فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه " عسى " مجرى "كان"[٢] ، وقول الراجز :

أكثرت فى اللوم ملحاً دائماً لا تكثرن إنى عسيتُ صائماً [٣]

وقـد عـدّ ابـن جنى [٤] إجراء " عسى " مجرى كان شاذاً فى الاستعمال مطـرداً فـى القياس ، فأما الإطراد فى القياس فراجع إلى أن " كان " كذلك وقد قاسوا " عسى " عليها .

وأما الشذوذ فى الاستعمال فلأنّ ورد فى كتب النحو واللغة شاهداً على ذلك لا يتعدى المثل والبيت .

أما ما حكاه ثعلب " عسى زيد قائمٌ " وما بناه عليه أن " عسى " ناقصة وأن اسمها ضمير الشأن ، والجملة الاسمية الخبر فلا يعتد به ؛ لأن ثعلباً لم يأت بشاهد علـى ذلـك ، وأيضـاً ممـا يقوى عدم الاعتداد بقول ثعلب أن القرآن الكريم لم يسـتعملها على نمط المثال الذى أتى به ثعلب ، بل إن استعمال القرآن جاء على وجهين :

أحدهمـا : أن تـرفع اسماً صريحاً ويؤتى بعده بخبر ويلزم كونه مضارعاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ **فعسى الله أن يأتى بالفتح** ﴾ [٥] .

الـثانى : أن يكون المرفوع بها أن والفعل ومنه قوله تعالى : ﴿ **عسـى أن يبعثَك ربُك مقاماً محموداً** ﴾ [٦] .

---

(١) سورة محمد : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٦ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٤٧٨/١ .

(٤) ابن جنى : الخصائص ٩٦/١ .

(٥) سورة المائدة : ٥٣ .

(٦) سورة الإسراء : ٧٩ .

اخلولق :

وهذا الفعل غير متصرف ليس ذلك فحسب ، بل إنه أيضاً قليل الاستعمال ، بل نادرة حتى ليخيل إلىّ أنه مصوغ ، والمثال المكرر فى كتب النحو واللغة على استعماله كفعل من أفعال الرجاء : اخلولقت السماء أن تمطر ، ولسان العرب ذكر : اخلولق السحاب ، أى استوى وارتقت جوانبه وصار خليقاً بالمطر .

فـــربما كان هذا المثال مفسراً لاستعماله عند النحاة وليس عند عامة العرب كفعل من أفعال الرجاء ، وذلك أن " اخلولق السحاب " ، يدل على أن المطر آتٍ ، والماء كما هو معلوم معقد الرجاء عند العرب ومبعث الأمل فيهم .

والفعـــل " حرى " مثل الفعل اخلولق ، غير مستعمل وربما كان ذلك سبب عـــدم تصرفه ، فنحن نستعمل أحرى كما نستعمل أخلق ، وقد ورد الاثنان معاً فى قول شوقى :

نيلُ أنت بطيب مانَعَتَ الهُدَى وبِمدحه التوراة أحرى أخلق

وورد " أخلق " أيضاً فى قوله :

أمَّا العتابُ فبالأحبـــة أخلق والحبُّ يصلح بالعتاب ويصدق

وقد ورد فى اللسان أيضاً : الحرىُّ : الخليق وتثنى وتجمع وتؤنث ، فيقال : حَرِيَّان وحريُّون وحرَّيتان وحريَّان ، ومن " أحرّ به " اشتق التحرِّى فى الأشياء ونحوهـــا وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال أى أولى وأجدر وأحق ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً** ﴾ (1) .

قال ثعلب : حَرِىً أن ينالَ الخيرَ كله (2) .

ومن الشواهد التى تؤيد قول ثعلب بأنه فعل ماضٍ غير متصرف :

إن يقل هنَّ من بنى عبد شمسٍ فحرىٌّ أن يكون ذاك وكانا

---

(1) سورة الجن : ١٤ .

(2) اللسان : ١٠/١٨٧ .

وهذا الشاهد لم يأت به إلا ابن هشام [1] .

ونقل صاحب اللسان عن ابن برى أنه أورد شاهداً آخر على "حرِىّ" قول لبيد :

من حياة قد سئمنا طولها وحرىٌ طول عيش أن يمل [2]

ولم يستعمل القرآن الفاعلان " اخلولق – حرىّ " بالرغم من استعماله الفعل " عسى " كثيراً وبالرغم من استعماله مادة " خلق " ، وبالرغم من ورود الآية الكريمة ﴿ **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا** ﴾ [3] .

والحقيقة أن هذه الأفعال من حيث المعنى إلى ثلاثة أقسام :

١- أفعال المقاربة .

٢- أفعال الرجاء .

٣- أفعال الشروع .

لأن هذا التقسيم يعتمد على المعنى من ناحية ، وعلى زمن الحدث من ناحية ثانية ، أما كتب النحو فسلكتها كلها معاً ؛ لأن هذه الكتب اعتمدت على مسألتى العامل من ناحية والحكم الإعرابى من ناحية أخرى .

وأفعال المقاربة والرجاء والشروع يغلب عليها اسم { أفعال المقاربة } أو {كاد وأخواتها } وهى أفعال ناسخة مثل " كان " تدخل على الجملة الاسمية فترفع الاسم ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، فالجملة الواقعة فيها هذه الأفعال إذن جملة اسمية ، وهى تنقسم ثلاثة أقسام :

[أ] أفعال المقاربة وأشهرها : { كاد – أوشك – كرب } ولابد أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، والفعل " أوشك " يغلب اقتران خبره بأن ، فتقول : أوشك زيد أن يصل .

أوشك : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح .

---

(1) ابن هشام : شرح شذور الذهب ص ٢٦٨ ، ١٩٠٦م .

(2) ديوان لبيد : تحقيق د/ إحسان عباس ص ١٧٩ ،ط١ الكويت .

(3) سورة الجن : ٢٤ .

زيد : اسم أوشك مرفوع بالضمة الظاهرة .

أن : حرف نصب .

يصل : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب خبر أوشك .

يـــرى بعــض النحاة ألا نعرب " أن " حرفاً مصدرياً ؛ لأن ذلك يؤدى إلى ضـــرورة معرفة موقع المصدر المنسبك منها ومن الفعل المضارع ، وأنه سوف يكـــون خـــبر أوشـــك فيصـــير معنى الجملة : أوشك زيد وصوله ، وذلك مناف للاستعمال العربى ، ولذلك يرون أنها حرف نصب فقط تجرد للدلالة على استقبال الفعل .

ويـــرى آخرون أنها حرف مصدرى ونصب ويؤولون الخبر على تقدير : أوشك زيد صاحب رسول . أما الفعلان { كاد- كرب } فيغلب عدم اقتران خبرهما بأن فتقول : كاد زيد يصل :

كاد : فعل ماضٍ ناقص مبنى على الفتح .

زيد : اسم كاد مرفوع بالضمة الظاهرة .

يصـــل : فعـــل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره "هو" . والجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب خبر كاد .

يستعمل " أوشك – وكاد " بصيغة الماضى كما يستعملان بصيغة المضارع فتقول : يوشك زيد أن يصل – يكاد زيد يصل .

[ب] أفعـــال الشروع :وتفيد معنى البدء فى الفعل الذى هو خبرها ولابد أن يكون خـــبرها جملة فعلية فعلها مضارع أيضاً ، وأشهر هذه الأفعال : { شرع – طفق – أنشأ – أخذ – علق – هبَّ – هلهل – جعل } ويمتنع اقتران خبرها بأن ، فتقول : شرع زيدٌ يقرأ :

شرع : فعل ماضٍ ناقص مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

زيد : اسم شرع مرفوع بالضمة الظاهرة .

يقرأ : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديـــره " هـــو " . والجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب خبر شرع وكذلك فى الباقى .

[ج] أفعـــال الرجاء : وتفيد معنى الرجاء فى حصول الخبر ، وخبرها أيضاً جملة فعلية فعلها مضارع وأشهر هذه الأفعال { عسى – حرى – اخلولق } .

عسى : لا يجب اقتران خبرها بأن ، بل هذا هو الغالب

فتقول : عسى زيد أن يوفق – عسى زيد يوفق

عسى : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح المقدر منع من ظهوره التعذر .

زيد : اسم عسى مرفوع بالضمة الظاهرة .

أن : حرف نصب .

يوفـــق : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة والفاعل ضـــمير مستتر جوازاً تقديره " هو " ، والجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب خبر عسى .

أما " حرى – واخلولق " فيجب اقتران خبرهما بأن ، فتقول :

حرى زيد أن يوفق – اخلولق زيد أن يوفق

على الإعراب السالف .

ركنا الإسناد :

يكون الركن الأول من الإسناد لهذه الأفعال ، كما يكون الركن الثانى خبراً لهـــا ، كما سبق فى " كان وأخواتها " ، ولكن الركن الثانى هنا لا يكون إلا جملة فعلية وذلك مثل :

كاد محمد يحضر .

كرب محمد يحضر

أوشك محمد أن يحضر .

ومثل : عسى محمد أن يحضر – حرى محمد أن يحضر

اخلولق محمد أن يحضر .

ومثل : أنشأ محمد يتكلم – طفق محمد يتكلم – جعل محمد يتكلم .

ومع ذلك فمن النادر كون خبر "عسى" و " كاد " اسماً لا جملة فعلية ، مثل:

أكثرت فى العذل ملحاً دائماً   لا تكثرن إنى عسيت صائماً

المعنى : أكثرت فى لومى وألححت فيه ، وإنى أرجو أن أصوم عن سماع كلامك أو الحديث إليك .

وفى هذا البيت جاء خبر "عسى" اسماً مفرداً وهو نادر ومثل قول الشاعر:

فأبْتُ إلى فهم وما كدت آيباً   وكم مثلها فارقتها وهى تصغر

المعـــنى : رجعت إلى قبيلة " فهم " ولم أكد أرجع وليس رجوعى إليها عن ضـــعف فكـــم هجرت سواها من القبائل من قبل ، وأنت ترى فى هذا البيت خبر "كاد" اسماً مفرداً وهو نادر .

اختلاف أفعال الشروع عن كان وأخواتها :

ولا تخـــتلف أفعال الشروع عن " كان وأخواتها " إلا فى شرع واحد وهو وجـــوب أن تكون أخبارها جملاً فعلية مضارعية وشيء آخر هو أن هذه الأفعال بعـــد نقصها وتفريغها من معانيها اللغوية أصبحت كلها جامدة على صيغة المضى فلا يأتى منها المضارع ولا فعل أمر ، كما ليست لها مصادر ولا مشتقات .

اختلاف أفعال المقاربة عن أفعال الشروع :

ولا تختلف أفعال المقاربة عن أفعال الشروع إلا فى أمرين :

أولهما : أن " كاد – أوشك " ليسا جامدين ، بل هما ناقصى التصرف، فيأتى منهما الماضى والمضارع ، " يكاد – يوشك " .

الثانى: أن أخبارهما يجوز اقترانها بـــ " أن " المصدرية الناصبة ، كقول الشاعر:

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا   إذا قيل – هاتوا – أن يملوا ويمنعوا

صور الجملة المنسوخة بكاد وأخواتها :

[١] الفعل الناسخ : ماضٍ للمقاربة بعده الاسم ، ضمير فى محل رفع بعده الخبر : فعـل مضارع من الأفعال الخمسة فى محل نصب ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **وما كادوا يفعلون** ﴾ (١) .

[٢] الفعل الناسخ : مضارع للمقاربة : بعده الاسم { جامد – نكرة مضافة مرفوع} والخـبر : فعل مضارع مستتر كما فى القرآن ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ (٢) .

[٣] الفعل الناسخ : ماضٍ للمقاربة بعده الاسم : اسم إشارة فى محل رفع ، وبعده الخبر : فعل مضارع مقترن بأن جوازاً ، كما فى قول الطبيب : أوشك هذا المريض أن يتماثل للشفاء .

[٤] الفعل الناسخ : ماضٍ للمقاربة بعده اسمه : اسم موصول فصلته فى محل رفع ، بعده الخبر : فعل مضارع اقترن بأن " جوازاً " ، كما فى قول المدرب : كرب الذى أدربه أن يتقن اللغة .

[٥] الفعل الناسخ : ماضٍ للمقاربة بعده اسمه : وصفٌ مضاف مرفوع بعده الخبر : فعل مضارع بغير أن " جوازاً " كما فى قولك : كاد لاعب مصر يفوز.

[٦] الفعـل الناسخ : ماضٍ جامد للرجاء ، بعده اسمه جامد ، بعده : الخبر : فعل مضـارع اقـترن بأن " جوازاً " ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **عسى ربكم أن يرحمكم** ﴾ (٣) .

[٧] الفعـل الناسخ : ماض جامد للرجاء ، بعده اسمه : وصف معرفة، بعده الخبر :فعل مضارع اقترن بأن وجوباً كقولنا : حرى المريض أن يشفى .

[٨] الفعـل الناسـخ : ماض جامد للرجاء بعده اسمه : جامد معرفة بعده الخبر : مضارع اقترن بأن " وجوباً " كقولنا : " اخلولق الله أن يفرج كربنا " .

---

(١) سورة البقرة : ٧١ .

(٢) سورة النور : ٣ .

(٣) سورة الإسراء : ١٠١ .

[٩] الفعل الناسخ : ماض للشروع بعده اسمه : ضمير متصل ، بعده الخبر : فعل مضارع من الأفعال الخمسة مجردٌ عن أن وجوباً ، كما فى قوله تعالى :

﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ [١] .

[١٠] الفعـــل الناســـخ : ماض جامد للشروع متصل بتاء التأنيث ، بعده : اسمه : ضـــمير مستتر ، والخبر فعل مضارع مجرد عن أن وجوباً كقول الشاعر عنترة :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

[١١] الفعـــل الناسخ : ماض للشروع ، وبعده الاسم : ضمير مستتر جوازاً وبعده الخـــبر : محذوف يفهم من المفعول المطلق الذى أتى نيابة عن فعله ، كما فـــى قـــول الله تعـــالى : ﴿ **فطفق مسحاً بالسوق والأعناق** ﴾ [٢] أى : فطفق يمسح مسحاً .

[١٢] الفعل المقصود : جامد للرجاء – ناقصاً كان أو تاماً – وبعده أن + مضارع، كما فى قوله تعالى:﴿ **لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم**﴾[٣]

ففى حالة النقصان يكون اسمها : مستتراً .

وفى حالة التمام : يكون المصدر المؤول فاعلاً .

[١٣] الفعل المقصود : جامد للإشفاق – يكون تاماً غالباً – وبعده أن + مضارع ، كما فى قول القرآن : ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ﴾ [٤] .

[١٤] الناسخ : وصف " اسم فاعل " واسمه : ضمير مستكن فيه ، والخبر : أن + المضارع ، كما فى قول كثير عزة :

فإنك موشكٌ ألا تراها وتعدو دون غاضرة العوادى

---

(١) سورة الأعراف : ٢٢ .

(٢) سورة ص : ٣٣ .

(٣) سورة الحجرات : ١١ .

(٤) سورة البقرة : ٢١٦ .

[١٥] الناسـخ : فعـل مقاربـة " مثلاً " والاسم : ضمير متصل ، والخبر : مفرد شذوذاً فى قول الشاعر :

فأبتُ إلى فهم وما كدت آيباً　　　　وكم مثلها فارقتها وهى تصغر

ترتيب الجملة المنسوخة بهذه الأفعال :

تخـتص هـذه المجموعة من النواسخ – التى تعد من أخوات كان ، أو من نظائـرها من حيث العمل النحوى بضرورة لزومها الصدارة ، فلا يجوز أن يتقدم خبرها عليها ، بل إن أفصح التراكيب تأتى على النسق التالى .

الناسخ ← اسمه ← خبره

" الفعل المضارع – ضميره المرفوع به "

وقد يسبق الخبر بأن أحياناً ومن أمثلتها وشواهدها قول القرآن :

– قوله تعالى : ﴿ **يكاد زيتها يضيء** ﴾ [١] .

– وقوله تعالى : ﴿**عسى ربكم أن يرحمكم** ﴾ [٢] .

– وقوله تعالى : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ [٣] .

فالناسخ " يكاد " فى الشاهد الأول مثلاً ، قد تصدر التركيب ، وجاء واسمه بعـده " زيـتها " ثم جاء الخبر " المضارع " ، وبعده فاعله : ضمير مستتر يعود على اسم الناسخ " زيتها " .

وهكـذا جاء الشاهد الثانى ،وإن سبق الخبر بالحرف " أن " لاقتضاء الفعل "عسـى" ذلـك ، وجاء الشاهد الثالث أخيراً ، وقد رفع الخبر " الفعل المضارع " ضـميراً بـارزاً ، حيث وقعت ألف الاثنين فاعلاً للفعل " يخصف " والضمير فيه يعود على اسم الناسخ قبله .

---

(١) سورة النور : ٣٥ .

(٢) سورة الإسراء : ٨ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٢ .

أمـــا إذا تقـــدم اسمٌ على الفعل المقصود ، فيغلب معاملته على التمام وليس علـــى النقصان ، حيث يعرب الاسم المتقدم مبتدأ ، والفعل وما بعده فاعله : خبر المبتدأ ، كما فى قولك : الحق عسى أن ينتصر .

وإذا عومـــل الفعـــل هنا معاملة النقصان كان الترتيب أصلياً ، حيث وقع " عسى " أولاً ، واسمه : مستتر فيه ، وخبره جاء أخيراً " أن ينتصر " .

دخول بعض الأفعال على الخبر الجملة شذوذاً :

وردت بعـــض الشـــواهد العربية النادرة التى خلفت الاستعمال " عسى – وأوشك " عن الحرف "أن " والبيتان من شواهد المخالفة التى تعد شاذة فى فصيح الاستعمال ، ولا يجوز القياس عليها ، ومنه قول الشاعر :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب

وقول الشاعر :

يوشك من فـــرَّ من منيتــــه   فى بعض غراته يوافقها

ومن شواهدهم الموافقة للاستعمال الفصيح على تجرد خبر " كرب " من أن قول الشاعر :

كرب القلب من جواه يذوب   حين قال الوشاة : هند غضوب

دخول بعض الأفعال على الخبر المفرد شذوذاً :

وردت بعض الشواهد العربية نادراً التى خالفت الاستعمال الشائع والفصيح فى مجيء الخبر مفرداً ، وليس فعلاً مضارعاً ، نحو قول الشاعر :

فأبتُ إلى فهم وما كدت آيباً   لا تكثرن إنى عسيت صائماً

وقول العرب فى أمثالهم : عسى الغوير أبؤساً .

تصرف الأفعال أو جمودها :

اتفـــق النحاة والاستعمال الفصيح على أن أفعال هذه المجموعة فى معظمها تـــلازم الجمود على صورة الماضى باستثناء الفعلين : { كاد – وأوشك } ، حيث جاء من الأول المضارع " يكاد " كما فى قول القرآن الكريم : ﴿ **يكاد زيتها يضيء**

ولو لم تمسسه نار ﴾ [1] ، وجاء من الآخر المضارع : " يوشك " كما جاء منه اسم الفاعل " موشك " ، وشاهد المضارع هو السابق :

يوشك من فـــرَّ من منيتـــه   فـــى بعض غـــراز يوافقهـــا

ومن شواهد الماضى :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا   إذا قيل هاتوا أن يملُّوا ويمنعوا

ومن شواهد صحة استخدام اسم الفاعل " موشك " قول كثير عزة :

فـــإنك مـــوشك ألا تراهـــا   وتعدو دون غاضرة العوادى

وقول أبى سهم الهذلى :

فموشكـــة أرضنا أن تعود   خلاف الأنيس وحوشاً يبابا

الشاهد : " فموشكة " ، حيث استعمل اسم الفاعل من " أوشك " .

الإعراب : فموشكة : خبر متقدم ، وهو اسم فاعل من " أوشك " ويحتاج إلى اسم وخبر ، واسمه ضمير مستتر فيه .

أرضـــنا : أرض : مبتدأ مؤخر ، وأرض: مضاف والضمير مضاف إليه "أن" مصدرية .

" تعـــود : فعـــل مضارع منصوب بأن ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره " هى " يعود إلى " أرض " .

خلاف : منصوب على الظرفية .

و " ناصبة " تعود " وخلاف مضاف .

الأنيس : مضاف إليه ، وحوشاً : حال من الضمير المستتر فى تعود .

وقولـــه " يبابا " : حال ثانية . وقيل : تأكيد لأنه بمعناه ، وقيل : معطوف عليه بحرف عطف مقدر وأن ماد دخلت عليه فى تأويل مصدر خبر موشك .

---

(1) سورة النور : ٣٥ .

وقـــد وردت استعمالات نادرة لبعض الصيغ الأخرى متصرفة وهى ما لا يتحملـــن أن يحاكى ، كاستعمالهم المضارع لفعلى الشروع " طفق – جعل " واسم الفاعل لفعل المقاربة " كاد " .

والمصدر للأفعال : { كاد – حرى – طفق } .

وقال بعض النحاة : إن مضارع " طفق " : يطفق .

جعل مضارعها " يجعل " ، واسم الفاعل للفعل " كاد " هو كائد ، والمصدر للأفعال { كاد – طفق – حرى } :

كاد – كوداً ، مكاداً ، مكادة .

طفق : يطفق – طفوقاً [1] .

وقـــيل : إن حرى قد يأتى منه المصدر ، ويستعمل تاما أفضل منه ناقصاً وهو حرى بتنوين الياء بمعنى " جدير " [2] .

وهـــذه الأفعـــال تلازمها صيغة المضى باستثناء { كاد – أوشك – طفق – جعل } حيث ورد لها مضارع :

– كقوله تعالى : ﴿ **يكاد زيتها يضيء** ﴾ [3] .

– يوشك السلام أن يسود .

واســتعمل اســم الفـــاعل من الأفعال { كاد – كرب – أوشك } واستعمل المصدر للفعلين [طفق – كاد] .

وهكـــذا فإن أفعال هذا الباب : ملازمة لصيغة الماضى ولا تتصرف فهى جامدة إلا { كاد – أوشك } من أفعال المقاربة ، فيأتى منها المضارع وسمع أيضاً اسم الفاعل منهما ، فمثال المضارع من " كاد " :

قوله تعالى : ﴿ **يكاد زيتها يضيء** ﴾ .

---

(1) أوضح المسالك : ص ٥٤ .

(2) عباس حسن : النحو الوافى ص ٦٢٩ .

(3) سورة النور : ٣٥ .

وقوله :﴿ **يكادون يسطون** ﴾ .

وقولك : تكاد الشمس تطلع .

واستعمال مضارع " أوشك " أكثر من استعمال الماضى ، وقد زعم الأصمعى أنه لم يستعمل إلا " يوشك " بلفظ المضارع ، ولم يستعمل " أوشك " بلفظ الماضى ولكنه بصحيح فقد حكم الخليل استعمال الماضى وورد فى الشعر .

وقد سمع اسم الفاعل من " أوشك " موشكة " .

فموشكة أرضنا أن تعود خلاف الأنيس وحوشاً يبابا

وسمع أيضاً اسم الفاعل من " كاد " قول الشاعر :

أموت أسى يوم الرجام وإننى يقيناً لرهن بالذى أنا كائدُ

هذا والمشهور أن الذى يتصرف من تلك الأفعال هو " أوشك – كاد " فقط وأنه يأتى منهما المضارع واسم الفاعل .

وقد حكى بعض العلماء أفعالاً أخرى تتصرف ، فحكى ابن الأنبارى فى كتاب [الإنصاف] أن " عسى " قد استعمل منها المضارع واسم الفاعل فقالوا : عسى يعسى فهو عاسٍ .

وحكى الجوهرى استعمال مضارع لـ " طفق " ، وحكى الكسائى مضارع " جعل " ، وقد أشار ابن مالك إلى أن تلك الأفعال كلها جامدة إلا { أوشك – كاد } فقال :

واستعملوا مضارعاً لأوشك وكاد لا غير وزادوا موشكاً

المتصرف من هذه الأفعال وغير المتصرف منها :

هذه الأفعال كلها ملازمة صيغة الماضى إلا " أوشك – كاد " من أفعال المقاربة ، فقد ورد منهما المضارع .

والمضارع من " كاد " كثير شائع ، من " أوشك " أكثر من الماضى :

– ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ [1].

– والحديث : " يوشك أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلاً " .

---

(1) سورة النور : ٣٥ .

مسألة التمام والنقصان فى كاد وأخواتها :

حيث إن هذه المجموعة إحدى مجموعات النواسخ وجب أن نتعرض فى دراستها لمسألة التمام والنقصان فيها ، ولعل ما سبق من صور استعمالية وشواهد قرآنية يؤكد أنها ناقصة فى أصل الاستعمال أى لا تكتفى بمرفوعها ، وإن ورد فى الاستعمال أفعال ثلاثة ترد تامة أحياناً وناقصة أحياناً أخرى ، وهذه الأفعال هى : { أوشك – عسى – اخلولق } وأشهرها فى هذا المجال فعل الرجاء عسى:

نقول : أوشك الكربُ أن يزول

عسى الكربُ أن يزول

اخلولق الكربُ أن يزول

وتقول أيضاً : الكربُ أوشك أن يزول

الكربُ عسى أن يزول

الكربُ اخلولق أن يزول

والأفعال وما يجيء على شاكلتها ، حيث يتقدم المبتدأ عليها هى أفعال تامة أو ناقصة وتوجيه التمام أن يعرب المصدر المؤول فاعلاً ، وتوجيه النقصان أن يعرب ا لاسم ضمير مستتر فى كل فعل منها ، والخبر هو المصدر المؤول من أن والفعل ، وتقول كذلك :

أوشك أن يزول الكربُ

عسى أن يزول الكربُ

اخلولق أن يزول الكربُ

فالأفعال { أوشك – عسى – اخلولق } وما يجيء على شاكلتها ، حيث يتأخر الاسم المرفوع بعد المصدر المؤول هى أفعال تامة غالباً ، وأن + الفعل المذكور + فاعله الظاهر المرفوع تعرب فاعلاً للفعل التام { أوشك – عسى – اخلولق } ، وهذه الأفعال فى الأصل جميعاً ناقصة ولا تستعمل إلا كذلك أى لا تكتفى بمرفوعها ، ولكن هناك ثلاثة أفعال ترد تامة أحياناً ، أى : تكتفى بمرفوعها وهى : { عسى – اخلولق – أوشك } ولكن الأشهر فى استعمالهم تامة هو الفعل عسى ، نحو : عسى السلام أن ينتشر ، فهو فعل ناقص .

ونحو : السلام عسى أن ينتشر .

و" عسى " هنا فعل تام باعتبار المصدر المؤول بعده فاعلاً ، أو فعل ناقص واسمه ضمير مستتر والفعل هو خبره .

ونحو : عسى أن ينتشر السلام .

و" عسى " فعل تام على الأغلب ، وأن + الفعل = فاعل .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم * وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم** ﴾ [1] .

ومنها كذلك قولك :

- اخلولق الاستعمار أن يهزم .
- اخلولق أن يهزم الاستعمار .
- أوشك الرخاء أن يعم .
- أوشك أن يعم الرخاء .

ما يستعمل تاماً وناقصاً من هذه الأفعال :

تختفى الأفعال الثلاثة { عسى – اخلولق – أوشك } بأنها تكون ناقصة وتامة ، فالناقصة : هى التى يكون لها اسم وخبر ، والتامة : هى المسندة إلى أن والفعل مثل قولنا : – عسى أن تنجح

- أوشك أن يقبل الربيع
- اخلولق أن يثمر البستان ولا تحتاج إلى خبر .

---

[1] سورة البقرة : ٢١٦ .

أحوال مجيئها تامة وناقصة :

يترتب على مجيء تلك الأفعال ناقصة مرة وتامة مرة أخرى أن يكون لها أربع أحوال : أى أربع صور تكون واجبة النقصان فى حالة – وواجبة التمام فى حالة – وجائزة الأمرين فى حالتين .

[١] وجوب النقصان :

ويجـــب فى تلك الأفعال الثلاثة أن تكون ناقصة فى حالة واحدة ، هى : أن تسند إلى الاسم الظاهر الذى يأتى بعده " أن والفعل " ، مثل :

– عسى محمد أن ينجح .

– أوشك الربيع أن يقبل .

– اخلولق البستان أن يثمر .

ووجـــب فـــيها النقصـــان ؛ لأن الاسم الظاهر بعدها اسمها وأن الفعل فى موضع نصب خبرها .

[٢] وجوب تمامها :

ويجـــب فى الأفعال الثلاثة أن تكون تامة فى حالة واحدة ، وهى : أن تسند إلـــى أن والفعل ولم يتأخر أو يتقدم عليها اسم ظاهر مرفوع يصح أن يكون اسماً لها ، مثل :

– عسى أن تنجح – أوشك أن يقبل – اخلولق أن يثمر .

وقوله تعالى : ﴿ **عســى أن تكـرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم** ﴾ [١].

وإنمـــا وجـــب أن تكون تامة فى تلك الحال ؛ لأن { أن والفعل } فى تأويل مصـــدر فاعل لــ { عسى ، أو أوشك ، واخلولق } واستغنت عن المنصوب الذى هو خبرها .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦ .

[٣] جواز النقصان والتمام :

ويجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة فى حالتين هما :

١- أن تسند تلك الأفعال إلى " أن والفعل " ويأتى بعد الفعل اسم ظاهر يصح أن يكون مرفوعاً بالفعل ، مثل : عسى أن ينجح محمد – أوشك أن يقبل الربيع – اخلولق أن يثمر البستان .

ففى تلك الحالة تحتمل تلك الأفعال أن تكون ناقصة ، وأن تكون تامة على خلاف بين العلماء ، فذهب فريق من العلماء إلى وجوب أن تكون تامة فى هذه الحالة ووجهه أن يكون الاسم الظاهر المرفوع فاعلاً للفعل المضارع الذى بعد " أن " و{ أن والفعل }فى تأويل مصدر فاعل لـ " عسى – اخلولق – أوشك } وهى تامة لا خبر لها .

٢- ذهب فريق آخر منهم المبرد والفارسى إلى جواز أن تكون تامة ، كما قال البعض أو تكون ناقصة على أن يكون الاسم الظاهر الواقع بعد الفعل المقترن بـأن " اسم عسى " مؤخراً ، و{ أن والفعل } فى موضع نصب خبر عسى مقدم على الاسم وفاعل الفعل الواقع بعد " أن " ضمير مستتر يعود على اسم " عسى " المؤخر وجاز أن يعود عليه وهو متأخر فى اللفظ ؛ لأنه متقدم فى الرتبة .

ثمرة الخلاف فى تلك الحالة :

وفائدة الخلاف بينهما تظهر فى التثنية والجمع والتأنيث ، فعلى رأى من أوجب تمامها " لا يلحق بالمضارع ضمير " فتقول : عسى أن ينجح المحمدان – عسى أن ينجح المحمدون – عسى أن تنجح المجتهدات ، ولا يتصل بالمضارع ضمير ؛ لأن فاعله هو الاسم الظاهر بعده .

وعلى رأى من يرى نقصانها : " تلحق بالمضارع ضمير " ، فتقول :

- عسى أن ينجحا المحمدان – عسى أن ينجحوا المحمدون
- عسى أن ينجحوا المحمدون – عسى أن تنجحن الهندات

فتلحق بالمضارع ضمير ليكون فاعله ؛ لأن الاسم الظاهر بعده ليس فاعله ، بل هو اسم لـــ " عسى أو أختها " والفاعل هو الضمير .

والحالة الثانية فى جواز الأمرين : وهى مختصة بـــ " عسى " فقط عند ابن مالك ومن معه هى : أن يتقدم عليها اسم ظاهر مرفوع ، مثل :

محمد عسى أن ينجح فيجوز فيها أن تكون ناقصة .

فيكون اسمها ضمير يعود على الاسم ، وأن الفعل فى موضع نصب خبرها وهذه لغة تميم .

ويجـــوز أن تكـــون ناقصة و{ أن والفعل } بعدها فى تأويل مصدر فاعل "عسى" ولا ضمير فى " عسى " وهذه لغة الحجاز ، فالفرق بين اللغتين إذن أن فى " عســـى " ضـــمير علـــى لغـــة تميم ؛ لأنها ناقصة وليس فيها ضمير على لغة الحجازيين لأنها تامة .

الخبر المقترن بأن :

" كاد وأخواتها " من حيث اقتران خبرها بأن وعدمه على ثلاثة أقسام :

[١] ما يجب أن يقترن خبره بها ، وهما : { حرى – اخلولق } من أفعال الرجاء ، مثل : – اخلولق الشر أن ينقضى .

– اخلولقت السماء أن تمطر .

– حرى النصر أن يتحقق .

[٢] ما يجب أن يتجرد منها : وهى أفعال الشروع :

وإنما لم يجز اقترانها بأن ؛ لأن المقصود من هذه الأفعال وقوع الخبر فى الحال ، و " أن " للاستقبال فيحصل التناقض باقتران خبرها ، نحو :

– أنشأ الطالب يجتهد .

– أخذ السائق يسرع

– طفق العمال يحبون العمل .

[٣] مـــا يجوز فيه الوجهان : اقتران خبره بأن وتجرده منها وهى أفعال المقاربة وعســـى مـــن أفعـــال الرجاء ، غير أن الأكثر فى " عسى – وأوشك " أن يقترن خبرهما بها : قال تعالى : ﴿ **عسى ربكم أن يرحمكم** ﴾ (١) .

وقال الشاعر :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

الشاهد :

يستشهد النحاة بهذا البيت ونحوه على أمرين :

الأول : فـــى قوله : " لأوشكوا " حيث ورد " أوشك " بصيغة الماضى ، وهو يرد علـــى الأصـــمعى وأبى على اللذين أنكرا استعمال " أوشك " وزعما أنه لم يستعمل من هذه المادة إلا " يوشك " المضارع .

الثانى : فى قوله "أن يملوا " ، حيث أتى بخبر " أوشك " جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بأن وهو الكثير .

الإعراب : لو : شرطية غير جازمة

سئل : فعل ماض مبنى للمجهول " فعل الشرط " .

الناس : نائب فاعل عن الفعل " سئل " وهو المفعول الأول .

التراب : مفعول ثان لـــ " سئل " .

لأوشكوا : اللام واقعة فى جواب " لو " وأوشك : فعل ماض ناقص ، وواو الجماعة : اسمه .

إذا : ظرف للمستقبل من الزمان .

قيل : فعل ماض مبنى للمجهول .

هـــاتوا : فعل أمر وفاعله واو الجماعة وجملتهما فى محل رفع نائب فاعل للفعل " قيل " وجملة قيل ونائب فاعله فى محل جر بإضافة " إذا " إليها ، وجواب

---

(١) سورة الإسراء : ٨.

الشـــرط محذوف ، وجملة الشرط وجوابه لا محل لها معترضة بين " أوشك " مع مرفوعها وخبرها " أن " مصدرية .

يملـــوا : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون ؛ لأنه من الأفعال الخمسة . واو الجماعة : فاعل والجملة فى محل نصب خبر " أوشك " .

يمنعوا : معطوف على يملوا .

وتجريده منها قليل ، ومنه قول الشاعر :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

الشاهد : قوله " يكون وراءه "

حيث وقع خبر "عسى" فعلاً مضارعاً مجرداً من " أن " المصدرية وذلك قليل :

الإعراب : عسى : فعل ماض ناقص .

الكرب : اسم عسى مرفوع .

الذى : اسم موصول صفة للكرب .

أمسيت : أمسى : فعل ماض ناقص ، والتاء : اسمه .

فـــيه : جـــار ومجرور متعلق بمحذوف خبر " أمسى " والجملة من أمسى واسمه وخبره لا محل لها .

صلة الموصول " يكون " فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر فيه .

وراءه : وراء : ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم .

وراء : مضاف إليه والهاء مضاف إليه .

فرج : مبتدأ مؤخر .

قريب : صفة لفرح ، والجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب خبر يكون ، والجملة من " يكون " واسمها وخبرها فى محل نصب خبر " عسى " .

وقول الشاعر :

يوشك من فرّ من منيته فى بعض غراته يوافقها

الشاهد : قوله " يوافقها " .

حيث أتى بخبر "يوشك" جملة فعلية فعلها مضارع مجرد من " أن " وهذا قليل.

الإعراب : " يوشك " فعل مضارع مرفوع ناقص .

من : اسم موصول اسم يوشك .

فر : فعل ماض ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره " هو " يعود إلى الاسم الموصول ، والجملة لا محل لها صلة " من منيته " .

الجار والمجرور متعلق بقوله : يوافقها " الآتى .

بعض : مضاف ، وغرات من غراته : مضاف إليه .

وغرات : مضاف وضمير الغائب مضاف إليه .

يوافقها : يوافق : فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره "هو " ، والضمير البارز الذى هو للغائبة مفعول به .

وجملة يوافقها فى محل نصب خبر " يوشك " .

والأكثر فى { كاد – وكرب } أن يتجرد خبرهما منها ، قال تعالى : ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ [1].

وقال الشاعر :

كرب القلب من جواه يذوب حين قال الوشاة : هند غضوب

واقترانه بها قليل :

ومنه الحديث : " كاد الفقر أن يكون فقيراً "

وقول الشاعر :

سقاها ذوو الأحلام سجلاً على الظَّما وقد كربت أعناقها أن تقطعا

الشاهد : قوله " أن تقطعا " .

حيث أتى بخبر " كرب " فعلاً مضارعاً مقترناً بأن ، وهو قليل حتى إن سيبويه لم يحك فيه غير المتجدد من أن ، وفى هذا البيت رد عليه .

---

(1) سورة البقرة : ٧١ .

الإعراب :

سقاها : سقى : فعل ماض مبنى على الفتح المقدر .

ها : ضمير الغائبة مفعوله الأول .

ذوو : فاعل سقى مرفوع وعلامة رفعه الواو ؛ لأنه من الأسماء الستة .

و ذوو : مضاف ، والأحلام : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة .

سجلاً : مفعول به ثان لـــ " سقى " .

الظمأ : اسم مجرور بـــ " على " ،والجار والمجرور متعلق بـــ " سقاها " .

وقد : الواو : واو الحال ، قد : حرف تحقيق .

كربت : كرب فعل ماض ناقص ، والتاء : تاء التأنيث .

أعناقها : أعناق : اسم كرب ، وأعناق : مضاف ، والضمير مضاف إليه .

أن : مصـــدرية ، تقطعا : فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين وأصله : تـــتقطعا : منصوب بأن والألف للإطلاق والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره "هى" يعود على أعناق .

والجملة فى محل نصب خبر " كرب " والجملة من " كرب واسمها وخبرها " فى محل نصب حال .

وهكـــذا يتضح وجود علاقة بين جملة الخبر " الفعل المضارع " والحرف المصـــدرى " أن " ، فقد تدخل على بعضها وجوباً وعلى بعضها الآخر جوازاً ، كما يمتنع دخولها على مجموعة منها :

[أ] فيجب اقتران الخبر بأن مع فعلى الرجاء : " حرى – اخلولق " كما فى المثالين : حرى المريض أن يشفى – اخلولق الله أن يفرج كربنا .

[ب] يكثر اقتران الخبر بأن مع فعل المقاربة " أوشك " ، وفعل الرجاء " عسى " ، ولا يحســـن تجردهما عنهما ، وإن ورد قليلاً فى بعض التراكيب العربية ،

ومــن أمثلة اقترانهما – وهو الأفصح – قولك : أوشك المريض أن يتماثل للشفاء ، وقول القرآن الكريم : ﴿ **عسى الله أن يكُفَّ بأس الذين كفروا** ﴾[1].

[ج] يقل اقتران الخبر بأن مع فعلى المقاربة " كاد – كرب " ، ولا يحسن اقترانهما بهــا ، وإن ورد قلــيلاً فــى بعــض التراكيب العربية ، ومن أمثلتها دون الاقتران – وهو الأفصح – :

– قول القرآن : ﴿ **وما كادوا يفعلون** ﴾ [2] .

– وقولنا : كرب اللاعب أن ينتهى من التدريب .

[د] يمتــنع اقــتران الخــبر بأن مع جميع أفعال الشروع ، كما فى قول القرآن : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ [3] .

وقولنا : – هبَّ الشعب يبنى حضارته بأيدى أبنائه

– جعل المعلم يربى طلابه على الفضيلة .

وعلــى ذلــك فالمضــارع الواقــع خبراً لتلك الأفعال قد يقترن بــ " أن " المصدرية وجوباً أو كثيراً ، كما قد يتجرد منها وجوباً أو كثيراً .

عسى : يكثر اقتران المضارع بأن المصدرية إذا كان خبراً لــ " عسى " أو " أوشك " .

فأمــا " عســى " فاقتران خبرها بــ " أن " المصدرية كثيراً ، وذلك لأن " عسى " للترجى ، والمترجى مستقبل فتناسبه " أن " لاستقبالها .

وتجــرده من أن قليل ، وهذا مذهب سيبويه ، أما مذهب جمهور البصريين فإنه لا يتجرد خبرها من " أن " إلا فى الشعر ، ولم يأت خبر " عسى " فى القرآن

---

(1) سورة النساء : ٨٤ .

(2) سورة البقرة : ٧١ .

(3) سورة الأعراف : ٢٢ .

الكــريم إلا مقترناً بــ " أن " مثل قوله تعالى : ﴿ **فعسى الله أن يأتى بالفتح** ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ **عسى ربكم أن يرحمكم** ﴾ [2] .

ومن ورود خبر " عسى " مجرداً من " أن " قول الشاعر :

عسى الكربُ الذى أمسيت فيه　　يكون وراءه فرج قريب

وقول الآخر :

عسى فرج يأتى به الله إنـــه　　له كل يوم فى خليفته أمر

الشاهد : مجيء خبر " عسى "وهو يأتى مجرداً من " أن " وهذا قليل .

الإعراب : عسى : من أفعال المقاربة .

فرج : اسم عسى مرفوع ، وجملة " يأتى به الله " فى محل نصب خبرها .

له : متعلق بمحذوف خبر مقدم .

إن : حرف ناسخ ، والهاء ضمير متصل مبنى على الضم فى محل نصب اسم " إن " .

كل يوم : ظرف متعلق بالخبر أيضاً .

فى خليقته : متعلق به أيضاً .

أمر : مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر إن .

أوشـــك : وأما أوشك ، فالكثير اقتران خبرها بأن المصدرية ، ويقل تجرده منها ، فمثال اقترانه بــ " أن " قولنا :

أوشكت الثمار أن تنضج　　–　　أوشك الربيع أن يقبل

قال الشاعر :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا　　إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

الشاهد : اقتران خبر أوشك وهو " أن يملوا " بأن المصدرية وهذا كثير.

---

(1) سورة المائدة : ٥٢ .

(2) سورة الإسراء : ٨ .

ومثال تجرده من " أن " قولنا : أوشكت الثمار أن تنضج .

وقول الشاعر :

يوشك من فرَّ من منيتـــه في بعض غراته يوافقها

الشـــاهد : مجـــيء خبر " يوشك " وهو يوافقها مجرداً من أن المصدرية ، ولكن هذا قليل .

كـــاد : ويقــل اقتران المضارع بأن المصدرية ويكثر التجرد منها إذا كان خبر " كاد أو كرب " .

فأمـــا " كـــاد " فهى عكس " عسى " الكثير فى خبرها أن يتجرد من " أن " مثل قولنا : كاد الماء يغلى - كادت الأزهار تتفتح

ونحو قوله تعالى : ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ **من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم** ﴾ (٢) .

ويقــل اقـــتران خبر " كاد " بأن ، حتى إن الأندلسيين جعلوه أيضاً خاصاً بالشعر ومن الاقتران قولنا : كاد الماء أن يغلى ، وقوله ﷺ : " ما كدتُ أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب " .

وقول الشاعر :

كادت النفس أن تفيض عليه إذ غدا حشو ريطة وبرود

الشاهد : أن تفيض : حيث اقترن خبر كاد بأن وهذا قليل

الإعراب : النفس : اسم كاد .

وجملة " أن تفيض عليه " خبر كاد ، إذا : ظرف .

غدا : بمعنى صار ، واسمها مستتر يعود إلى الميت .

و " حشو " خبرها .   ريطة : مضاف إليه

و برود : معطوف على حشو منصوب .

---

(١) سورة البقرة : ٧١ .

(٢) سورة التوبة : ١١٧ .

كـــرب : وأما كرب فمثل : " كاد " يأتى خبرها مجرداً من " أن " كثيراً ، مثل قولك : كربت الشمس تطلع ، وقول الشاعر :

كرب القلب من جواه يذوب حين قال الوشاة : هند غضوب

الشاهد فى قوله " يذوب " .

حيـــث تجرد خبر " كرب " من أن وهو كثير ، ويقل اقتران خبر " كرب " بـــأن المصـــدرية ، ذكر سيبويه أن تجرد خبرها واجب ، ولكن الصحيح أنه كثير وليس واجب ، وقد سمع ومن اقترانه بها قول الشاعر :

سقاها ذوو الأحلام سجلاً على الظما وقد كربت أعناقها أن تقطعا

الشاهد : " أن تقطعا " .

حيث جاء خبر لـــ " كرب " مقترناً بـــ " أن " وهذا قليل ، والمشهور فى " كرب " فتح الراء ويقل كسرها أيضاً .

اخلولق – حرى : ويجب اقتران المضارع بـــ " أن " المصدرية ، إذ كان خبراً لـــ " اخلولق – وحرى " من أفعال الرجاء ، مثل :

- اخلولقت السماء أن تمطر .
- حرى النصر أن يتحقق .

ولم يأت خبرهما مجرداً من " أن " فى نثر أو شعر .

أفعال الشروع :

ويمتنع اقتران المضارع بـــ " أن " المصدرية ، ويجب تجرده منها إذا كان خبراً لأى فعل من أفعال الشروع ، وذلك لما بين فعل الشروع ، وبين " أن " من المنافاة ؛ لأن المقصود بالشروع البدء فى الحال ، و " أن " تفيد الاستقبال ، ولذلك لم يجتمعا ومن أمثلتها قولك :

- أنشأ السائق يسرع .　　　　- أخذ الشاعر يلقى قصيدته .
- أخذ المذياع يذيع نشرة الأخبار .　　　　- فعلق المستمعون يتجمعون حوله .
- جعلت أذاكر دروسى .　　　　- طفق العمال يحبون العمل .

وقد أشار ابن مالك إلى حكم اقتران خبر تلك الأفعال بـــ " أن " ، فقال عن عسى : " إنها يندر تجرد خبرها ، ويكثر اقترانه بـــ " أن " وعكسها " كاد " قال :

وكونه بدون " أن " بعد عسى　　　　نذر وكاد الأمر فيه عُكسا

ثم قال : إن " حرى - اخلولق " يجب اقتران خبرهما بـــ " أن " ، وأوشك يكثر اقتران خبرها ، فقال :

وكعســـــى حرى ولكن جُعِـــلا　　　　خبرها حتماً بـــ " أن " متصلاً

وألزموا اخلولق " أن " مثل حرى　　　　وبعد أوشك انتفا " أن " نزرا

ثــم بيــن " أن " كرب ، مثل : كاد ، يكثر فيها للتجرد وأن أفعال الشروع كلها يجب تجرد خبرها من " أن " فقال :

ومثل كادَ فى الأصح كرباً　　　　وتركُ " أن " مع ذى الشروع وجبا

كأنشأ السائق يحدو وطفق　　　　كـــذا جعلت وأخـــذن وعــلق

الخلاصة :

إن أفعال تلك الباب بالنسبة لاقتران خبرها بـ " أن " أربعة أقسام :

١- ما يجب اقتران خبرها بـ " أن " وهو " حرى – اخلولق " .

٢- ما يجب تجرد خبرها من " أن " وهو أفعال الشروع .

٣- ما يكثر اقتران خبرها بـ " أن " ويقل التجرد وهو " عسى – وأوشك " .

٤- وما يكثر تجرده ويقل اقترانه بـ " أن " وهو : " كاد – كرب " .

حكم الخبر المقترن بأن والمجرد منها :

إن كان الخبر مقترناً بـ " أن " مثل :

أوشكت السماء أن تمطر – عسى الصديق أن يحضر .

فليس المضارع نفسه هو الخبر ، وإنما الخبر مصدره المؤول بـ " أن "

ويكون التقدير : أوشكت السماءُ ذا مطرٍ – عسى الصديق ذا حضور

غير أنه لا يجوز التصريح بهذا الخبر المؤول ؛ لأن خبرها لا يكون فى اللفظ اسماً ، وإن كان غير مقترن بها نحو : " أوشكت السماء تمطر " فيكون الخبر الجملة نفسها ، وتكون منصوبة محلاً على أنها خبر .

خصائص عسى – اخلولق – أوشك :

تختص { عسى – اخلولق – وأوشك } من بين أفعال " كاد وأخواتها " بأنهن قد يكن تامات فلا يحتجن إلى الخبر وذلك أن وليهن " أن والفعل " فيسندن إلى مصدره المؤول بـ " أن " على أنه فاعل لهن ، نحو :

- عسى أن تقوم . – اخلولق أن تسافروا . – أوشك أن نرحل .
- ومنه قوله تعالى: ﴿ **عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم** ﴾ [1].
- وقوله تعالى : ﴿ **عسى أن يهدينى ربى** ﴾ [2].

---

(1) سورة البقرة : ٢١٦ .

(2) سورة الكهف : ٢٤.

– وقوله تعالى :﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ [١].

هذا إذا لم يتقدم عليهن اسم هو المسند إليه فى المعنى ، فإن تقدم عليهن اسم يصح إسنادهن إلى ضميره فأنت بالخيار إن شئت جعلتهن تامات " وهو الأفصح " فيكون المصدر المؤول فاعلاً لهن ، نحو :

– علىّ عسى أن يذهب . – هند عسى أن تذهب

– الرجلان عسى أن يذهبا . – المرأتان عسى أن تذهبا .

– والمسافرون عسى أن يحضروا . –والمسافرات عسى أن يحضرن

بتجديد " عسى " من الضمير ، وإن شئت جعلتهن ناقصات ، فيكون اسمهن ضميراً ، وحينئذ يتحملن ضميراً مستتراً ، أو ضميراً بارزاً مطابقاً لما قبلهن إفراداً أو تثنية أو جمعاً وتذكيراً أو تأنيثاً ، فتقول فيما تقدم من الأمثلة :

– علىٌ عسى أن يذهب . – وهند عست أن تذهب .

– الرجلان عسيا أن يذهب – المرأتان عستا أن تذهب .

– المسافرون عسوا أن يحضروا. – المسافرات عسين أن يحضرن .

والأولى أن يجعلن فى مثل ذلك تامات وأن يجردن من الضمير فيبقين بصيغة المفرد المذكر ، وأن يسندن إلى المصدر المؤول من الفعل بأن على أنه فاعل لهن ، وهذه هى لغة الحجاز التى نزل بها القرآن وهى الأفصح والأشهر ، قال تعالى : ﴿ **لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم * ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهنّ** ﴾ [٢] .

ولو كانت ناقصة لقال : " عسوا وعسين " بضمير جماعة الذكور العائد إلى قوم،وضمير الجماعة الإناث العائد إلى " نساء " واللغة الأخرى هى لغة بنى تميم.

---

(١) سورة الإسراء : ٧٩.

(٢) سورة الحجرات : ١١ .

ما تختص به عسى :

وتختص عسى بما يلى :

[١] جواز كسر سينها وفتحها إذا أُسندت إلى تاء الضمير أو نون النسوة ، والفتح أولـــى ؛ لأنـــه الأصل ، وقد قرأن عاصم:﴿ **فعل عسِيتم إن توليتم** ﴾ [١] بكسر السين ، وقرأ الباقون ﴿ **فهل عسَيتم** ﴾ بفتحها .

وعلى ذلك فإذا أسند الفعل " عسى " لضمير رفع متكلم أو مخاطب أو لنون النسوة جاز فتح السين وكسرها والفتح هو الأشهر ، مثل :

- عَسِيتُ أن أسلم من المرض .
- عَسِيتَ أن تفوز .
- عسيتما وعَسِيتم وعَسِيتن بجواز فتح السين وكسرها والفتح أشهر .

وقد أشار ابن مالك إلى ذلك فقال :

والفتْحَ والكَسْرَ أجِرْ فى السين مِنْ　　　نحو عسيتُ وانتقا الفتح زكنْ

[٢] أنها قد تكون حرفاً بمعنى " لعلّ " فتعمل عملها ، فتنصب الاسم وترفع الخبر ، وذلك إذا اتصلت بضمير النصب " وهو قليل " كقول الشاعر :

فقلت عساها نار كأس وعلّها　　　تشَكّى فآتى نحوها فأعودها

وقول الشاعر :

فتسمع قولى قبل حتف يصيبنى　　　تسربه أو قبل حتف يصيدها

---

(١) سورة محمد : ٢٢.

جواز تجريد عسى من الضمير :

إذا لـــم يذكـــر اسم ظاهر بعد الأفعال السابقة يكون اسماً لها أو فاعلاً عند استعمالها تامة وجب أن يقدر فيها ضمير مستتر يعرب الإعراب الذى يكون للاسم الظاهـــر إذا وجد ، ولكن ذلك ليس واجباً مع الفعل " عسى " ، حيث يجوز استتار الضمير فيه كما يجوز تجريده من الضمير .

وتجـــريد " عسى " من الضمير لغة الحجاز ، أما استتار الضمير فيه فلغة تميم ، ويتضح ذلك من المثال التالى :

زيد عسى أن يقوم ويعرب على لغة تميم هكذا .

زيـــد : مبتدأ ، عسى : فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على " زيد " .

وأن يقوم " فى تأويل مصدر خبر عسى .

أما عند الحجازيين فيعرب هكذا :

زيد : مبتدأ .   عسى : فعل تام .

أن يقوم : فى تأويل مصدر فاعل " عسى " .

ولهذا فلو كان الاسم الأول مثنى أو جمعاً يظهر الفرق بين اللغتين باتصال ألف التثنية أو واو الجماعة بالفعل عند تميم وامتناع هذا عند الحجازيين مثل :

- الزيدان عسى أن يقوما .   " عند الحجازيين " .
- الزيدان عسيا أن يقوما .   " عند التميميين " .

وهـــذا خـــاص بـــــ " عسى " حيث يجب فى سواها ظهور الضمير عند الحجازيين والتميميين على السواء مثل :

- الزيدان أوشكا أن يقوما   - الزيدان اخلولقا أن يقوما ... إلخ .

الفهرس

كتب للمؤلف – نشر دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية

[١]المؤثرات الإيقاعية فى لغة الشعر .

[٢]العربية والوظائف النحوية ، دراسة فى اتساع النظام والأساليب .

[٣]منهج السيوطى النحوى ، دراسة فى المقاطع .

[٤]العربية والتطبيقات العروضية .

[٥]القيمة الوظيفية للصوائت ، دراسة لغوية مقارنة .

[٦]النحو والفكر والإبداع ، دراسة فى تفكيك النص وتوثيقه .

[٧]العربية والفكر النحوى ، دراسة فى تكامل العناصر وشمول النظرية .

[٨]لسان عربى ونظام نحوى .

[٩]من أصول التحويل فى نحو العربية .

[١٠] المنظومة النحوية دراسة تحليلية .

[١١] وظيفة التاء فى النظم والرسم والبناء .

[١٢] النظم والمجتمع ، دراسة فى اللغة والقواعد والأوزان .

[١٣] فى التحليل العروضى لأبنية اللغة وتراكيبها .

[١٤] التوليد العروضى ، بحث فى قدرة العربية وكفاءة الأوزان .

[١٥] القيمة الحضارية للعقلية العربية فى قوانين التوليد العروضى .

[١٦] اللحن والإيقاع ، دراسة فى تطور لغة الشعر وموسيقاه .

[١٧] متانة النسج وجمال التركيب ، بحث فى قيمة الأسلوب الشعرى .

[١٨] عناصر الإيقاع اللغوية ، المظاهر والوظائف والمستويات .

[١٩] دراسة متقدمة فى علم العروض .

[٢٠] دور أنظمة التحليل اللغوى فى درس عروض العربية المعاصر وإيقاعها .

[٢١] المدخل إلى علم الصرف على ضوء دراسة اللغة والنحو – الجزء الأول (متطلبات التحليل فى النظام الصرفى) .

[٢٢] خصائص الأفعال وما شابهها من الأسماء .

[٢٣] الفصائل الصرفية ، النسب والتصغير وتوكيد الفعل والعدد .

[٢٤] الاشتقاق والمشتقات .

[٢٥] الإعلال والأسماء المعتلة .

[٢٦] الإبدال والقلب المكانى وفصيلة الجنس .

[٢٧] علاقة خصائص الأفعال بتصنيف المصادر وتقاسيمها .

[٢٨] الانحرافات الصوتية والتركيبية والدلالية فى اللهجة السكندرية ، دراسة مبدئية فى استعمالات أهل كرموز لتركيب النداء .

[٢٩] التغير اللغوى وعلاقته بما تقدمه وسائل الإعلام من برامج ثقافية واجتماعية .

[٣٠] علاقة درجة الشيوع ونشاط الوحدات اللغوية بالتلوث السمعى .

[٣١] معجم ممدوح الألسنى للحقول السياقية والمقامية دراسة تداولية .

[٣٢] دور الحركة فى عين الفعل الثلاثى المجرد وتصرفه .

[٣٣] كتب "فعلت وأفعلت" بين نظامى المعجم ونحو الجملة (الزجاج نموذجاً) .

[٣٤] علاقة الفعل الثلاثى بزوائده فى ضوء علم الصيغ الوظائفى بحث فى النموذج التركيبى والدلالى .

[٣٥] اسم الفعل فى نحو العربية دراسة فى الخصائص والمصطلح .

[٣٦] دور حرف الجر فى تحويل التركيب وأثره فى نقل الوظيفة النحوية .

[٣٧] فى التحليل النحوى وخصائص العربية .

[٣٨] الإعلال ومظاهره فى استعمالات العربية .

[٣٩] التعريب والتنكير فى العربية .

[٤٠] الدرس النحوى بين رصد الظاهرة وحداثة المصطلح الإضافة نموذجاً .

[٤١] العلاقة بين ظاهرتى النصب والجر فى الدرس النحوى والاستعمال .

[٤٢] التحليل الصرفى للعربية فى إطار منهجى البحث التقابلى والتقارنى .

[٤٣] الاتجاهات الحديثة فى علم اللغة " اتجاه التحليل الصرفى ووحداته " .

[٤٤] رتبة النظام الصرفى ومعايير تحليله .

[٤٥] الجمل والتراكيب والأساليب " دراسة فى نحو العربية الجمالى " .

[٤٦] الإضافة بين البنيتين النحوية والمنطقية وحذف عناصر المركب نموذجاً .

[٤٧] نظرية البدائل فى إطار أساليب العربية وقواعدها .

[٤٨] الجمل الاسمية غير المقيدة .

[٤٩] الألسنية والتحليل الوظيفى .

[٥٠] من خصائص الكلمة إلى نحو الجملة .

[٥١] الفونولوجيا والمعنى والوظيفة ، عرض ونقد وتحليل .

[٥٢] الظواهر التركيبية بين نحو الجملة ونحو النص .

[٥٣] مستويات التحليل اللغوى والمعنى والوظيفة .

[٥٤] الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الفعلية .

[٥٥] الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الحرفية .

[٥٦] الجملة الاسمية المقيدة بأفعال القلوب .

[٥٧] التحليل الوظيفى للتراكيب .

[٥٨] الجملة فى الفكر اللغوى .

